القبيس

شهرية سياسية ثقافية رقمية، العدد: 89 أوت 2026 السنة الثامنة

شيخان في سجون تونس

بقلم: محمد كريشان

قيس سعيد
ديكتاتور عربي ينتظر الترحيل

القبس
FOULABOOK.COM

المهدية
سياحة.. بعبق فاطمي

بقلم: روعة قاسم

المهدية مدينة تونسية تقع عند جهة الساحل في الوسط الشرقي للبلاد وهي مركز ولاية المهدية التي هي إحدى الولايات الثلاث المشكلة لمنطقة الساحل. ويجعل موقع المهدية، التي يحيط بها البحر من ثلاث جهات، المدينة وجهة سياحية مفضلة للعديد من التونسيين والأجانب الذين تسحرهم شواطئها النظيفة وفنادقها الفخمة.

تاريخ ضارب في القدم

لكن المهدية أيضا هي مدينة تاريخية مهمة باعتبارها أولى حواضر الفاطميين وعاصمتهم في الشمال الافريقي التي نما فيها ملكهم وتشكلت معالمه وأصبح جاهزا للتوسع باتجاه المشرق. فقد اتخذها الخليفة الفاطمي الأول عبيد الله المهدي عاصمة لخلافته ومنه استمدت اسمها الذي حافظت عليه منذ ذلك التاريخ أي سنة 308 هجرية 920 المكان الذي تتواجد فيه مدينة المهدي اليوم قد مرت عليه جميع الحضارات التي شهدتها تونس على غرار الحضارة القرطاجية أو البونية كما يطلق عليها المؤرخون.

وبذلك فان المهدية هي ثاني العواصم الإسلامية لما تعرف اليوم بتونس بعد مدينة القيروان التي سيعود إليها الفاطميون لاحقا من خلال صبرة المنصورية التي سيتخذونها قاعدة لحكمهم ومنها سينطلقون إلى مصر لتأسيس القاهرة والاستقرار فيها. ليرسلوا لاحقا قبائل بني هلال وبني سليم لتخريب افريقية (التسمية العربية الإسلامية لما تسمى اليوم تونس والتي ستمنح لاحقا لكامل القارة الافريقية) التي استقل بحكمها الصنهاجيون بعد رحيل الفاطميين الذين لم يستسيغوا أن يستأثر بنو زيري بحكم افريقية (تونس اليوم وجزء من التراب الجزائري).

ومع دخول البلاد في حالة من الفوضى بعد قدوم الهلاليين طمعت أطراف عديدة في السواحل التونسية فكانت المهدية ضحية هذه الحقبة بامتياز حيث تكالب عليها الغزاة من كل حدب وصوب. وانتهى المطاف بعاصمة الفاطميين الأولى مدينة مدمرة على يد الاسبان لاحقا وهو ما جعل دورها الحضاري يتراجع شأنها شأن مدينة القيروان التي حولها بنو هلال قبل ذلك بكثير إلى خراب.

زويلة أو ثاني المهديتين

وبمحاذاة المهدية، مقر الملك، بنى الفاطميون الأوائل مدينة زويلة التي جعلوها لسكن العامة من سائر القبائل الأمازيغية والعربية التي استهوتها دعوات الفاطميين، فاستقر بزويلة جمع كبير من البشر عمروا الحاضرة الناشئة. وتلاصقت المدينتان حتى أصبحتا جزءا لا يتجزأ من بعضهما البعض وغاب إسم زويلة مع الوقت وطغت المهدية على ما حولها واقتصر ذكر زويلة على كتب التاريخ.

ويقول المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب في هذا الإطار: »وابتنى لسائر الناس مدينة أخرى تسمى زويلة وهي إحدى المهديتين وبينهما قدر غلوة سهم، وجعل الأسواق والفنادق فيها، وأدار بها خنادق متسعة تجتمع بها الأمطار، فكانت كالربض لمدينة المهدية. وكانت تشتهر بحمى زويلة، المليئة بالحدائق والبساتين المزروعة بشتى الثمار وأنواع الفاكهة

ويشار إلى أن عبيد الله المهدي قد أمر بردم جزء من البحر حتى يجد أراضي إضافية لتوسعة المدينتين وتحصينهما من الغزاة القادمين من وراء البحار وخصوصا رجال الشمال من الأوروبيين. وكذلك لإقامة ميناء كبير يربط المهدية بصقلية الإيطالية التي كانت خاضعة لحكمه منذ عصر بني الأغلب الذي حكموا ما تسمى اليوم تونس. وألحقت صقلية بافريقية على يد القاضي أسد بن الفرات الذي غزاها وأخضعها لملك بني الأغلب في القيروان وهي التي خرجت عن السيطرة منذ أن حررها الرومان من القرطاجيين في حقبة ما قبل ميلاد المسيح. وأنجبت صقلية للفاطميين جوهر الصقلي القائد الذي سيطر على مصر وبنى القاهرة وجهزها للمعز لدين الله الفاطمي ليتخذها عاصمة له بدلا عن المهدية وصبرة المنصورية بالقيروان (التونسيتين) وذلك رغبة في الاقتراب أكثر من عاصمة الخلافة الإسلامية في بغداد للسيطرة عليها وإنهاء حكام العباسيين وهو ما لم يحصل.

معالم المدينة

عرفت المهدية بأسوارها الشامخة المحصنة في وجه الغزاة باعتبارها مدينة ساحلية، وأيضا بأبوابها وجامعها الكبير في وسط المدينة وبأسواقها على غرار جميع المدن العربية الإسلامية. كما عرفت بما تسمى »السقيفة الكحلاء «وهي إحدى مداخل المدينة التي تطغى عليها الظلمة، ومن هنا جاءت تسمية »الكحلاء «أي السوداء باللهجة العامية التونسية، وهي مزار سياحي مهم ومن معالم المدينة الهامة وتسمى أيضا »باب زويلة«

ومن بين معالم المهدية أيضا قصر القائم بأمر الله الذي بناه عبيد الله المهدي في أوائل القرن العاشر لابنه وخليفته في الحكم القائم بأمر الله، وقد عاد أمراء الصنهاجيين إلى العيش في هذا القصر بعد خراب صبرة المنصورية بالقيروان على يد الهلاليين. وقام الاسبان لاحقا بهدم هذا القصر مثلما فعلوا لعدد من المعالم التاريخية في البلاد التونسية تحدوهم رغبة في طمس كل ما يمت للحضارتين العربية والإسلامية بصلة.

ويبقى الجامع الكبير أهم معالم المهدية إلى جانب أسواقها التقليدية ومدينتها القديمة التي لا تختلف في تخطيطها عن سائر المدن العربية الإسلامية. ولعل ما يميز هذا الجامع الكبير أنه لا توجد فيه مئذنة ولا يعرف هل بني منذ البداية على هذه الشاكلة أم أن عملية تحويله من قبل الاسبان في القرن السادس عشر إلى كنيسة ومقبرة قد غيرت من معالمه وهدمت المئذنة.

ويشار إلى أن العثمانيين أقاموا على أنقاض قصر عبيد الله المهدي حامية لجيشهم الإنكشاري وغيروا الكثير من حيث الشكل لهذا المعلم التاريخي. فتحول هذا القصر إلى برج أو حصن غايته دفاعية خاصة وأن الصراع العثماني الاسباني على النفوذ في البحر الأبيض المتوسط كان في أوجه وكان أكثر شراسة من صراعات قرطاج مع الاغريق ثم مع الرومان في نهاية عهدها.

الميناء القديم

وتتميز المهدية أيضا بمينائها القديم الذي بناه الفاطميون وبقيت بعض آثاره إلى اليوم شاهدة على تميز في الحضارة العربية الإسلامية، ذلك أنه عرف عن العرب ابتعادهم عن البحر عند انشاء العواصم والحواضر الكبرى وخوفهم منه. فلم يعرف عنهم أنهم نسبوا بحرا لأنفسهم أو اعتبروه جزءا من إقليمهم أو أنهم شعروا أن عليهم واجب اكتشاف ما يكتنزه من أسرار. فالمتوسط بالنسبة لهم هو بحر الروم رغم أنهم أحاطوا به من كل حدب وصوب، والأطلسي في مخيلتهم هو بحر الظلمات الذي لم يفكروا يوما في تجاوزه رغم ملامستهم لسواحله في أقصى بلاد المغرب وفي الأندلس.

في حين أن مهدية الفاطميين، بخلاف بغداد والقيروان وقرطبة، جاورت البحر الذي أحاطها من جهات ثلاث وتسببت في ردم أجزاء منه وتهيئة كل الظروف لإعماره وغزوه والانتفاع من خيراته. وفي هذا الإطار يقول المؤرخ التونسي حسن حسني عبد الوهاب: «أول ما ابتنى عبيد الله المهدي من مدينته سورها الغربي الذي فيه أبوابها، ثم أمر بحفر مرسى المدينة، وكان حجرا صلدا، فنقره نقرا وجعله حصنا لمراكبه الحربية، وأقام على فم هذا المرسى سلسلة من حديد رفع أحد طرفيها عند دخول السفن ثم تعاد كما كانت، تحصينا للمرسى من دخول مراكب الروم. وابتنى دار الصناعة (صناعة السفن)، وهي من عجائب الدنيا، ثم شرع في حفر الأهراء داخل المدينة وبنى الجباب والمصانع، واختزن الأهراء بالطعام، وملا الجباب (جمع جب) بالماء.«

المهدية اليوم

أصبحت المهدية إحدى أهم المدن السياحية التونسية مستغلة جمال سواحلها ونظافة بحرها وثراء مخزونها التاريخي والحضاري وكثرة معالمها. كما تتميز بأسواقها التقليدية التي يجد فيها السائح

ما يشفي الغليل من الصناعات التقليدية التونسية الأصيلة.

وتعتبر الباحثة الجامعية التونسية إيمان النمري، وهي من عشاق مدينة المهدية وتحبذها لقضاء إجازتها برفقة أفراد أسرتها، في حديثها لـ »أن المهدية هي من أفضل الوجهات السياحية ليس فقط في تونس وإنما في كامل حوض البحر الأبيض المتوسط. ففيها هدوء وجمال للطبيعة قل وندر، وفيها فنادق جميلة وراقية تقدم أجود الخدمات وهي مناسبة لسياحة العائلات بعيدا عن ضوضاء سياحة المراقص الليلية.

وتضيف: »لذلك فإن العائلات التونسية تقبل بكثافة على المهدية شأنها شأن العائلات الجزائرية خاصة وأن البيئة سليمة في هذا المكان والبحر نظيف. كما أن الثروة السمكية تغري بالمجيء لتذوق أجود الأطباق من الطعام البحري الذي برع في إعداده أهالي المهدية«

وتختم بالقول: »في المهدية أيضا تراث عريق يتجلى في طقوس الزواج وغيره من المناسبات والأعياد وفي اللباس التقليدي الذي يميز سكانها. فهي مدينة متميزة ولديها هويتها المحلية التي هي نتيجة لتراكمات تاريخية ولحضارات تعاقبت عليها وعلى محيطها، ويمكن للسائح أن يطلع عليها عن كثب خاصة وأن أهل المهدية يتميزون بانفتاح كبير على الآخر وبالترحاب بالزائر وحفاوة استقباله.«

أعلامها

لقد أنجبت المهدية من القديم عددا كبيرا من المشاهير في مختلف الميادين إلا أن من بقوا عالقين في الأذهان هم أولئك الذين خاضوا الكفاح ضد الاستعمار الفرنسي مثل البشير صفر الذي ساهم في تأسيس حركة الشباب التونسي سنة 1906 والتي انبثق عنها لاحقا الحزب الحر الدستوري على يد عبد العزيز الثعالبي. وساهم البشير صفر ورفاقه، الذين يعتبرون امتدادا لجيل الحركة الإصلاحية التي برزت في تونس في نهاية القرن الثامن عشر وبدايات القرن التاسع عشر، في توعية التونسيين بمخاطر الاستعمار تمهيدا للمطالبة بالاستقلال لاحقا من قبل أبناء التيار الدستوري.

كما أنجبت المدينة المناضل الطاهر صفر وهو أحد مؤسسي الحزب الحر الدستوري الجديد بمعية الزعيم الحبيب بورقيبة سنة في ما عرف بـ«مؤتمر قصر هلال «الذي خرج فيه الدستوريون الجدد عن القدامى وطالبوا لأول مرة باستقلال تونس عوضا عن المطالب الإصلاحية التي كان يطالب بها الدستوريون القدامى

.ولعل أهم مشاهير المهدية على الإطلاق هو عالم الذرة المرحوم البشير التركي الذي ولد في مارس 1931 وتوفي بها يوم 14 آب/اغسطس 2009. وقد انتخب التركي وهو العالم الشهير سنة 1969 رئيسا للوكالة الدولية للطاقة الذرية كأول عربي يحتل هذا الموقع المهم، ورشحته لهذا المنصب دول عدم الانحياز بعد إنجازات عظيمة محليا وعربيا ودوليا في مجال الطاقة الذرية.

روعة قاسم

وكالة القبس للنشر الرقمي

بومرداس: 0662207378

موسوعة

النظام الجزائري
من (1962 الى 2019)
قراءة موضوعية في أهم الأحداث و المواقف و القرارات .

كل العناوين متوفرة بالمجان بصيغة (PDF) بموقع (FOULABOOK) و مواقع أخرى

بسم الله الرحمن الرحيم

القبس

سياسية ثقافية رقمية

تصدر عن وكالة القبس للنشر الرقمي

ص ب:42 أولاد موسى، 35011

ولاية بومرداس

الهاتف

0662 20 73 78

البريد الإلكتروني

Email:agcelqabasdz@gmail .com

مدير النشر و التحرير

محمد رباعة

(أنظر كيف فضلنا بعضهم على بعض و للآخرة أكبر درجات و أكثر تفضيلا) الإسراء 21

(إن من أعظم العبر ما نشاهده في أحوال الخلق أمما و جماعات و أفرادا من الإختلاف الشديد، فقد إختلفت بواطنهم النفسية، كما إختلفت ظواهرهم الجسدية، و تجد أبناء الأمة الواحدة يتشابهون في تركيب أجسامهم، ثم لابد من فروق تتمايز بها شخصياتهم، ويتبع هذا الإختلاف، إختلاف في إدراكهم و تميزهم و أخلاقهم و عاداتهم في ضلالهم و هداهم ، وفي درجات الهدى و دركات الضلال، كل هذا دال على بديع صنع الخالق القدير، فمكنهم تعالى كلهم من الأسباب و إدراك العقل و حرية الإرادة، ثم فضل بينهم هذا التفضيل، فكان منهم المؤمن و الكافر، و البر و الفاجر ، و الشقي و السعيد ... فلذا أمر تعالى بالنظر في أحوال هذا للتفضيل، و كما فضل بعض خلقه على بعض في دار الإبتلاء، فضل بعضهم على بعض في دار الجزاء ، لكن التفضيل هناك أكبر، و التفاوت بين العباد أظهر في مواقف القيامة و في داري الإقامة، و يا بعد ما بين من في الجنة و من في النار، و أهل النار متفاوتون في دركاتها، و أهل الجنة متفاوتون في درجاتها)

الإمام عبد الحميد بن باديس

مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير

المحتويات

معالم: المهدية سياحة بعبق فاطمي ص:3

ظلال: بعد 5 سنوات من الإنقلاب ..... ص: 7

موضوع الغلاف:قيس سعيد ديكتاتور ينتظر الترحيل ص:08

الملف: تونس: حين يخيب الأمل من جديد ص:11

ثقافة وفنون: إطلالة على الشعر التونسي المعاصر ص:16

الرواية التونسية بعد الثورة

حديث الروح: شيخان في سجون تونس ص:28

تونس: بعد 5 سنوات من الإنقلاب

إنقلاب الرئيس التونسي قيس سعيد يوم 25 جويلية 2016 على دستور الثورة ، و على الديمقراطية و على الأحزاب و البرلمان و الصحافة، كان بمثابة آخر مسمار في نعش الثورات العربية التي أطاحت بكل الجملوكيات العربية، و الحكام الطغاة العرب، الواحد تلو الآخر، و اسقطتهم تباعا كما تتساقط حجرات لعبة الدومينو.

في السابق كان الإنقلاب على ملك (حالة ضباط الأحرار في مصر ، الضابط معمر القذافي في ليبيا) أو على رئيس منتخب (حالة الجزائر في 19 جوان 1965) حيث انقلب العقيد هواري بومدين ومجموعة ضباط صغار على الرئيس المنتخب أحمد بن بلة، و في الجزائر أيضا، انقلب العسكر (جنرالات علمانيين فرنكوفون) أغلبهم من دفعة لاكوست التي التحقت بالثورة الجزائرية في الربع ساعة الأخير، على المسار الديمقراطي الذي أقره الرئيس المنتخب الشاذلي بن جديد، و تعهد علنا و في لقاء مع التلفزيون الجزائري، على احترام رأي الشعب و التعامل مع أية أغلبية ينتجها صندوق الإنتخاب.

في تركيا حدثت إنقلابات عسكرية كثيرة على رؤساء مدنيين ،و في موريتانيا أغلب رؤسائها جاؤوا عن طريق الدبابة و الإنقلاب العسكري، كل هذه الأشياء تعتبر في المنطق الإعلامي و السياسي لا حدث، بحكم أن الشيء من مأتاه لا يستغرب، فالعسكريون العرب إلا قليل منهم في الأصل طغاة لا يؤمنون سوى بمنطق القوة.. الديمقراطية بالنسبة لهم ترف فكري وسياسي و حرية الرأي و التعبير خرافة، و تعددية الأحزاب تجر الى الفوضى السياسية .

لكن أن يأتي الإنقلاب هذه المرة من تونس عاصمة الثورات العربية ، و ثورة الياسمين التي أبهرت العالم الغربي، و من من ؟ ليس من طرف جنرال متجبر، و لا عقيد متهور و لا ضابط صغير متعطش للسلطة.. من رئيس مدني مثقف هو أصلا أستاذ جامعي لا يعرف له أي نشاط سياسي قبل الثورة سواء في زمن الرئيس الطاغية الحبيب بورقيبة، أو في زمن الرئيس الهارب الجنرال زين العابدين بن علي،و كل ما في الأمر أنه خرج الى العلن، بعد هروب الرئيس التونسي بن علي و نجاح ثورة الياسمين، ليتحول فجأة الى منظر و محلل سياسي و متتبع لأخطاء النخبة الثورية ، حيث اختطف الأضواء بسرعة واحتضنته وسائل الإعلام المحلية و الدولية ، وانتبهت اليه دوائر صنع القرار في عدة عواصم عربية، ترى نفسها معنية أكثر من غيرها بتوقيف مسار الثورة التونسية التي صمدت طويلا، حتى لا تنتقل العدوى الى بقية الشعوب العربية الغافلة، و تتحول تونس الى نموذج للديمقراطية العربية و حقوق الإنسان و حرية الرأي و التعبير.

مرت خمس سنوات على الإنقلاب الذي وقعه لأول مرة في تاريخ النظام العربي الإسلامي على الديمقراطية، رئيس مدني هو الرئيس التونسي قيس سعيد و هي سابقة سياسية فريدة في التاريخ، حيث احتفل الشعب التونسي و معه كل الشعوب العربية و الإسلامية بهذه الذكرى هذه المرة بطريقة خاصة.

فكان يو م25 جويلية 2026 هو يوم الحساب .. يوم تقديم الحصيلة من طرف رئيس مدني انتخب في ظل دستور الثورة التونسية العظيمة، ثم انقلب عليه بتخطيط و تشجيع من أسياده في الإمارات و مصر و بدرجة أقل الشقيقة الكبرى الجزائر، فكانت الحصيلة باعتراف حتى أنصاره لا شيء يذكر ... صفر إنجازات. .

سياسيا: تحولت تونس الى سجن كبير، معظم رموز الثورة، و الكثير من رجال الثقافة و الإعلام الذين عارضوا الإنقلاب في السجن، بتهم مفبركة و أدلة تافهة.

إقتصاديا : تفاقمت البطالة بشكل كبير، و اختفت الطبقة المتوسطة.

إجتماعيا. لم يعد المواطن التونسي العامل يستطيع إطعام أطفاله نتيجة الغلاء، زيادة على انتشار الآفات الإجتماعية كالدعارة و المخدرات و السرقة و الجرائم .

تونس بعد خمس سنوات عجاف من توقيع إنقلاب 25 جويلية 2012 تراجعت الى الوراء خطوات كثيرة، بدل أن تتقدم، و الأمل معقود على موجة جديدة من الثورة التونسية، قد تنجح في ترحيل الرئيس قيس سعيد و تفتح الأمل من جديد، و تعيد إنتاج نخبا سياسية شابة جديدة، تعيد بدورها الى تونس الخضراء ديمقراطيتها الفورية الجميلة، و حرية الرأي و التعبير، و التعايش السلمي بين مختلف ألوان الطيف السياسي و الثقافي.. تونس التعدد و التآلف و المحبة.

بقلم: محمد رباعة

قيس سعيد

ديكتاتور عربي ينتظر الترحيل

بقلم: محمد رباعة

كان العنوان الأصلي لهذا المقال في البداية هو (قيس سعيد ... آخر بايات تونس) لكن بعدما اطلعت سريعا على فترة حكم آخر بايات تونس بالفعل، وجدته أفضل بكثير من نظام الديكتاتور قيس سعيد، من كل النواحي السياسية و الإقتصادية و الإجتماعية و حتى الإنسانية، .. فالرئيس أي رئيس دولة عربية أو أجنبية الذي لا يرحم منافسيه السياسيين من كبار السن و الذين سبقوه في عالم السياسة بسنوات، و يزج بهم في غيابة السجن لمجرد إزاحتهم من مسرح المنافسة، أو لإرضاء خيمة أجنبية بدائية تفكر بطريقة القرون الوسطى رغم التقدم المادي الذي وصلت إليه بفضل تدفق البترول و الغاز... هو في الحقيقة آخر ديكتاتور عربي ينتظر الرحيل.

قيس سعيد ... ذلك المجهول

قيس سعيد شخصية حقوقية جامعية لم يسبق لها أي نشاط سياسي أو العمل في المجال التنفيذي... مجرد أستاذ جامعي بسيط يدرس مادة القانون الدستوري، من مواليد 22 فيفري 1958 أي عمره الآن 68 سنة، يكون قد تقاعد على الأكثر في سنة 2018 قبل اكتشافه لعالم السياسة المغري و ترشحه للإنتخابات الرئاسية سنة 2019، فهو إذن شخصية مجهولة قادمة من الظلام، و ليس لها أي تجربة في العمل السياسي ، و ليس في تاريخه أية تجربة نضالية موالية أو معارضة سواء لنظام الرئيس الحبيب بورقيبة شبه الملكي الديكتاتوري، أو نظام الجنرال بن علي الذي تحول هو أيضا الى ديكتاتور صغير لأصغر دولة في المحيط المغاربي، و أما عن مكوناته السياسية فتبدو غامضة جدا للمتتبعين بحكم قلة تجربته السياسية و عدم مشاركته في أي نضال أو عمل سياسي أو حتى نقابي قبل تقاعده ، فقد عرف في محيطه القريب أنه شخصية غير إجتماعية أصلا.

تقول الأخبار أنه خرج من جحره كالفأر، بمجرد هروب الجنرال بن علي،قبل وصول جحافل المتظاهرين الشباب الى قصر قرطاج، فتحول الى منظر و محلل سياسي من وجهة نظر قانونية صرفة، يقدم خدماته الى البلاطوهات التونسية الصاخبة و الى الجرائد و وكالات الأنباء و المواقع... و من هذا الموقع لفت إنتباه المخابرات العربية (المصرية و الإماراتية) فاتخذوه خليلا.

ـ الى قصر قرطاج

شارك قيس سعيد في الإنتخابات الرئاسية التونسية التي جرت في في أكتوبر2019 كمترشح حر، و قام بحملة انتخابية متواضعة اعتمدت على وسائل مادية بسيطة و مجموعة من المتطوعين الشباب تحت شعار (الشعب يريد) و تركزت حملته على فكرة محاربة الفساد بقوة، حيث تأهل الى الدور الثاني و فاز على المترشح الثاني الملياردير و رجل الأعمال نبيل القروي، في الدور الثاني الذي جرى في 13 أكتوبر 2019 و حقق نسبة 72.71./. و تسلم مهامه بصفة رسمية كرئيس لتونس في 23 أكتوبر 2019و خلال فترة حكمه الأولى في ظل دستور الثورة لم يستطع أن يتحرك أو يفعل شيئا، بحكم أن النظام التونسي كما حدده دستور الثورة لا يمنح صلاحيات كثيرة و لا كبيرة لرئيس الجمهورية، بل يعتبر المنصب شرفيا و رمزيا ليس إلا، و يتقاسم الحكم مع الرئاستين ، رئاسة الحكومة و رئاسة البرلمان، و هي حبكة سياسية خرجت بها النخب السياسية التي استلمت الحكم بعد الثورة التونسية المظفرة التي أسقطت نظام الديكتاتور الجنرال بن علي في11 ـ جانفي 2011، و توليفة مستوحاة من النظام اللبناني الطائفي، حيث تسمح بقيام نظام برلماني نابع من الإرادة الشعبية و عبر إنتخابات برلمانية نظيفة و شفافة ، و الصلاحيات الممنوحة لرئيس الجمهورية لا تسمح له حتى و إن أراد أن يتسلطن و يتحول الى ديكتاتور، لكن يمكن للرئيس في ظل دستور الثورة ان يحتفظ بحقه في تخطيط السياسة الخارجية و الدفاعية، ويمكنه اقتراح أفكار أو قوانين على الحكومة، و لذلك فالرئيس في هذه الحالة، و في ظل النظام البرلماني غير مطالب بتحقيق إنجازات سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية، بحكم أنه منصبه شرفي أكثر منه تنفيذي.

كيف ومن أين جاءت فكرة الإنقلاب؟

السؤال الذي حير رجال السياسة و الإعلام و الفكر ، هو هل الإجراءات التي اتخذها الرئيس قيس سعيد ، و أعلن عنها بصورة فاجأت الراي العام التونسي و العربي و العالمي، يوم 25 جويلية أي بعد 20 شهرا من الحكم في ظل دستور الثورة، هي حقيقة أفكار تونسية أصيلة من وحي تفكيره و تخطيطه أم هي أفكار أمليت عليه أو فرضت عليه من الخارج من دول مؤثرة في الوضع التونسي بشكل أو بآخر (الجزائر الإمارات ، مصر) و هي الدول التي تتصارع علنا و سرا و جهرا على بسط نفوذهما في بعض الدول المغاربية و الإفريقية، لكنها تتفق على بعض الأمور،و تتلخص مصالحها السياسية في:

ـ كل الدول العربية ، لا تحبذ نظاما برلمانيا يجسد الديمقراطية الحقيقية و يجعل من تونس البلاد الصغيرة التي تعيش على المساعدات الإقتصادية و الإعانات الجزائرية، أكثر إستقطابا في المنطقة المغاربية، حيث تفتح التجربة التونسية في حالة وصولها الى مرحلة النجاح النهائية، عيون الشعوب العربية، من أجل المطالبة بإعتماد النظام البرلماني .

ـ نجاح التجربة التونسية في بناء نظام سياسي ديمقراطي متوازن، يحتضن كل مكونات المجتمع السياسي،و يعتبر الصندوق الإنتخابي هو الذي يحسم المعركة السياسية، و القبول بنتائجه مهما كان لون أونوع الحزب السياسي الفائز، لا يخدم النظام العربي المترهل الغارق في الإستبداد و الفساد .

الوحيد للإستقرار و الأمن.

- أي تجربة ديمقراطية عربية حقيقية نزيهة وشفافة، في العالم الإسلامي تخدم تيارات الإسلام السياسي، أو الوطني المحافظ الرافض للهيمنة الأمريكية، و العدو اللدود لإسرائيل ، و بالتالي فإن الفيتو الأمريكي و الغربي بصفة عامة، سيرفع في وجه أي ديمقراطية عربية إسلامية حقيقية.

- أمريكا و الكثير من الدول الغربية الفاعلة، ليست جادة في تصدير الديمقراطية الى العالم العربي و الإسلامي، لأنها تعتبرها خطر على إسرائيل.

- الإمارات كممثلة لدول الخليج ترى في نجاح التجربة الديمقراطية العربية، بداية أفول نظام الخيمة.

قيس سعيد ... بعد 25 / 7 / 2021

فكرة الإنقلاب على الديمقراطية و على دستور الثورة، و على الأحزاب والمنظمات الأهلية و على الصحافة الحرة، تبدو لي ليس من بنات أفكار الرئيس قيس سعيد ، و هو على كل حال، حتى في مجاله وتخصصه كأستاذ للقانون، ليس عبقريا خارج إطار التدريس في الجامعة، و بعد أقل من سنتين من وجوده كرئيس لتونس، يكتشف أو الأصح يتم تنبيهه من أطراف معينة داخل تونس أو من محيطها القريب أو البعيد ، الى فكرة جهنمية شيطانية ، و هي أن في دستور الثورة بالذات مادة تسمح له بأحداث إنقلاب أبيض يتم من خلاله التراجع عن كل المكتسبات السياسة القيمة التي تحققت في الواقع مع دستور الثورة،و هو على أي حال كأي منتج فكري بشري، قاصر و ناقص وغير مكتمل وقد يحتاج الى مراجعة وتعديل بعد فترة أو فترات من تطبيقه على الأرض و في الواقع السياسي، و هي المادة :80 من دستور الثورة التونسية.الصادر سنة 2014 و التي تمنح رئيس الجمهورية الحق في إتخاذ تدابير استثنائية في حالة وجود خطر داهم يهدد أمن البلاد و استقلالها و التي تنص بالحرف الواحد على أنه في حالة خطر داهم يهدد كيان الوطن ويمنع سير الدولة، يحق للرئيس اتخاذ تدابير استثنائية، بعد استشارة رئيسي الحكومة و البرلمان، و إعلام المحكمة الدستورية، و قد استغل الرئيس قيس سعيد هذه المادة بشكل تعسفي و فسرها على مقاسه و هو الرجل المسن المتقاعد الأستاذ الجامعي، الذي لم يكن يحلم في يوم من الأيام أن يصبح رئيس بلدية في تونس، بحكم ابتعاده منذ الصغر عن المجال السياسي، وفجأة يجد نفسه و دون سابق تفكير أو تخطيط رئيس الجمهورية التونسية و لكن ليس ككل رؤساء تونس السابقين و لا كمعظم الرؤساء العرب، رئيس شرفي بدون صلاحيات سياسية أو عسكرية كبيرة، و بالتعبير العامي (خضرة فوق عشاء) و السلطة التنفيذية الحقيقية في يد رئيس الحكومة المنبثقة عن الأغلبية الحزبية في البرلمان، و هكذا استغل نص المادة 80 من دستور الثورة ، ليوقع إنقلابا أبيضا، يلغي بموجبه الدستور و يجمد البرلمان المنتخب، و يمنح نفسه سلطة التشريع و إدارة الدولة بالمراسيم، و يعيد دولة البوليس و الحكم الديكتاتوري الذي ثارعليه الشعب التونسي أواخر سنة 2010 و أسقطوه في 11 جانفي 2011، رغم أن المادة 80 التي استغلها الرئيس قيس سعيد صريحة جدا، و تتعلق بحالة إستشراف أو حصول خطر داهم فاجأ الدولة ، كمحاولة إنقلابية، أو هجوم عسكري مباغت من دولة أو جهة أجنبية، أو عصيان مدني مدمر ، أو حصول كارثة طبيعية قاهرة و قوية، أو أي زلزال سياسي يهدد بقاء الدولة و ليس النظام.

ماذا بعد ... ؟ هل حقق المعجزة

اليوم نحن في شهر جويلية 2026 حيث مرت خمس (5) سنوات منذ توقيع الإنقلاب على دستور الثورة، و أربع سنوات منذ إعلان دستور العار 2022 الذي أعاد تونس الى نظام ما قبل الثورة، هل حقق الرئيس قيس سعيد معجزة اقتصادية ؟، الحصيلة لا شيء، و لكن تحولت تونس من واحة للديقراطية و حرية التعبير و الرأي، الى سجن كبير يدخل فيه رموز السياسة و الثقافة و الإعلام في تونس بالشبهات و بمحاكمات صورية و تلفيق التهم و تزوير الأدلة، والوضع الإجتماعي أكثر قتامة مما كان حتى في زمن الجنرال بن علي .

- بطالة متفشية في صفوف الطلبة و الشباب المتخرجين الجدد.

- إرتفاع فاحش في كل المواد الأساسية و اللحوم الحمراء و البيضاء الخضر و الفواكه.

- هروب الشباب عبر قوارب الموت نحو إيطاليا و إسبانيا.

- الأسر الفقيرة وصلت الى درجة خطيرة من الفقر، و أصبحت تقتات من القمامة.

- إنتشار الدعارة و الفساد الأخلاقي و تجارة الحبوب المهلوسة.

- تآكل الطبقة المتوسطة، و انتشار أمراض الفقر و البؤس التي انقرضت منذ زمان.

- تحولت تونس في عهد قيس سعيد الى أفقر دولة في العالم العربي، تعيش على المساعدات و التسول.

- القمع السياسي و تفريغ الساحة من كل الرموز.

الشيء الوحيد الذي نجح فيه زعيم الإنقلاب في تونس قيس سعيد، ليس المحافظة على المكاسب السياسية التي تحققت بعد ثورة الياسمين، و تدعيمها و تطويرها ومعالجة النقائص التي ظهرت أثناء التطبيق، و لا تحقيق الرفاهية الإقتصادية و الإجتماعية للشعب التونسي، و القضاء على الفقر ودعم الأسر الأكثر فقرا، وإعادة التوازن الى المجتمع التونسي، من خلال إعادة الطبقة المتوسطة الى مكانها الطبيعي في المجتمع التونسي، ولكن زيادة على فشله في تحقيق التنمية و التوازن الجهوي، و الرفاهية للشعب التونسي، هو تصحير الساحة السياسية و الثقافية، من خلال الزج برموز المعارضة من كبار السياسيين و رجال الإعلام و الثقافة، و كل منافس محتمل له، كما همش كل المؤسسات الدستورية و نصب وزراء ومديرين عاميين أصبحوا فوق القانون.

قيس سعيد رجل القانون و الحريات، الأستاذ الجامعي الهادىء البشوش، الذي استبشرت بفوزه في الإ نتخابات الرئاسية التونسية في أكتوبر 2019 كل النخب و الشعوب العربية و الإسلامية، إذ لأول مرة في تاريخ النظام العربي الإسلامي الحديث تنظم إنتخابات رئاسية نظيفة و شفافة في دولة عربية مغاربية، و يفوز فيها مترشح من الطبقة الشعبية البسيطة، غير مدعوم من أي حزب أو ممولين كبار من داخل البلد أو من خارجه، مواطن بسيط متواضع يجيد اللغة العربية و يتكلم بها بطلاقة لكن بعد أقل من سنتين من حكمه تأكد الشعب التونسي الذي انتخبه ، و الشعوب العربية المسلمة التي استبشرت بفوزه، أنها إما كانت شعوبا ساذجة انطلت عليها الحيلة بسهولة، أم أن قيس سعيد كان ذكيا و عرف كيف يمثل عليها دور المترشح المثقف الذي يملك كاريزما و رؤية سياسية و برنامج عمل، و حلول ذكية و سريعة لكل المشكلات التي يتخبط فيها الشعب التونسي، لقد خيب قيس سعيد آمال الشعب التونسي الذي راهن عليه كشخصية سياسية قادمة من تونس العميقة و ليس مدفوعا من لجنة صناع الرؤساء، و لا من الغرف الضيقة التي تراقب و تسير البلاد عن بعد كخفافيش الظلام.. فالرجل بمجرد ما ارتاح في كرسيه بقصر قرطاج تحول عن شخصيته و طبيعته الأولى 180 درجة.

تونس على فوهة بركان

بعد خمس سنوات من الإنقلاب الأبيض الذي وقع الرئيس التونسي قيس سعيد، و بعد أربع (4) سنوات من الإستفتاء على دستور 2022 الذي صممه الرئيس قيس سعيد على مقاسه، و الذي لم توافق عليه أغلبية الأحزاب و الشخصيات السياسية و الفكرية و الإعلامية التونسية، تبين للشعب التونسي، و للشعوب العربية و الإسلامية التي تراقب الوضع في هذا البلد المغاربي الصغير، مهد الديمقراطية و حرية التعبير و أم الثورات العربية الحديثة، أن الوضع في تونس على جميع الأصعدة لم يتغير الى الأفضل، بل لم يتغير قيد أنملة، و لكن تراجع الى الوراء

تبين للشعب التونسي، و للشعوب العربية و الإسلامية التي تراقب الوضع في هذا البلد المغاربي الصغير، مهد الديمقراطية و حرية التعبير و أم الثورات العربية الحديثة، أن الوضع في تونس على جميع الأصعدة لم يتغير الى الأفضل، بل لم يتغير قيد أنملة،

بعدة خطوات، سواء على الصعيد السياسي أو الإقتصادي أو الإجتماعي و الإعلامي و الثقافي، فقد تراجعت مستويات المعيشة و الحياة الإجتماعية الى الصفر، كما تراجع النشاط السياسي و الحريات السياسية و حرية الرأي و التعبير الى الحضيض،و أصبحت كل مؤسسات الدولة ممركزة في يد الرئيس و لم يبق له سوى أن يعين نفسه المدير العام للإذاعة و التلفزة التونسية، فقد جمع كل السلطات السياسية و التنفيذية بين يديه،و اصبح هو الكل في الكل، و يا ليته جمع بين الديكتاتورية في شقها السياسي ، و بين تحقيق التنمية الشاملة المتوازنة في كل الجهات والمناطق، و تحقيق و لو القليل من الرفاهية و الحد من تفاقم المشاكل الإجتماعية التي ترهق حياة المواطنين البسطاء، كارتفاع أسعار المواد الغذائية ذات الإستهلاك الواسع واللحوم البيضاء و مشتقات الحليب، و تشجيع الإستثمار المحلي المنتج القادر على توفير مناصب الشغل الدائمة و/ أو المؤقتة للشباب التونسي، و جلب الإستثمارات الأجنبية للحد من مشكل البطالة في الأوساط الشبابية المتعلمة خاصة... لا شيء من هذه الأحلام تحقق، و كل ما أنجزه الرئيس قيس سعيد هو الكلام و التصريحات بلغة عربية فصحى، يعني مجرد كلام ، الريح في الريح ، و كل سنة تمر يظن المواطن التونسي المقهور أن السنة القادمة ستكون أفضل على جميع الأصعدة، لكن لا شيء تحقق و بقيت تونس على حالها بل أكثر من حالها بعد هروب الرئيس الجنرال بن علي، أو حتى بعد وفاة الرئيس قايد السبسي بغض النظر عن قلة الموارد و اعتماد الإقتصاد التونسي رسميا على السياحة و المعونات الخارجية، و هكذا بدأت - منذ عدة أشهر تلوح في الأفق التونسي، إشارات تفاقم الوضع السياسي و الإقتصادي و الإجتماعي، فقد أصبح الرئيس قيس سعيد يتعمد الغياب و عدم الظهور الإعلامي، حتى تتحول الإنظار من البحث عن المأكل و المشرب، الى البحث عن الرئيس شخصيا، و مع حلول فصل الصيف 2026 توقع المراقبون للوضع الداخلي التونسي، صيفا حار و حاسما سياسيا و إجتماعيا، و مع اقتراب ذكرى الإنقلاب على الديمقراطية و على دستور الثورة و على الأحزاب و البرلمان، انتشرت صيحات التغيير في كل مكان ، و تخلى المواطن التونسي عن صمته و خوفه و ظهرت أصوات من داخل تونس و خارجها تدعو الى موجة سلمية ثانية من ثورة الياسمين، تطيح بالرئيس قيس سعيد و تفرض عليه الهروب أو الإستسلام، و بالفعل انطلقت يوم 25 جويلية 2026 مظاهرات عارمة في عدة مدن تونسية ترفع شعارات التغيير و تطالب الرئيس التونسي قيس سعيد بالرحيل، و قبل ذلك شهد البرلمان التونسي و لأول مرة منذ انتخابه ، ما يمكن أن أسميه بثورة برلمانية نخبوية، حيث استغل عدة نواب الوضع المزري الذي تعيشه تونس من كل الجوانب لتبرئة الذمة و تقديم رسائل شديدة اللهجة و بلغة صريحة جدا الى الرئيس قيس سعيد ،

ثلاثة (3) حلول... لا غير

هناك ثلاثة (3) حلول سياسية يمكن أن تساعد على خروج تونس من النفق المظلم الذي تعيشه حاليا في هذا الصيف بسبب طريقة تسيير و إدارة فاشلة لرئيس يفترض أنه من النخب المثقفة و الواعية و القادرة على التفكير و التدبير و التحكم في كل الملفات السياسية و الإقتصادية و الثقافية و الإجتماعية ، و تفكيكها بحكمة و إيجابية تخدم البلد و المواطن و هي حلول ممكنة جدا و ليست مستحيلة، لكن قد يبدو البعض منها قاسيا و تراجعا الى الوراء، لكن التراجع في عالم السياسة و الحكم، أحيانا أفضل من الإقدام و الهروب الى الأمام.

أولا: الهروب مغادرة تونس و اللجوء السياسي في أي دولة عربية أو غربية تقبله.

ثانيا: إلغاء العمل بدستور 2020،و تنظيم إنتخابات برلمانية مسبقة،الإفراج عن كل السجناء السياسيين، صياغة دستور توافقي مع أحزاب الأغلبية البرلمانية. ثم تنظيم إنتخابات رئاسية لن يشارك فيها.

ثالثا: الإنسحاب الفوري من السلطة و من الواجهة و تسليم السلطة الى الجيش، ليختار رئيسا مؤقتا.

تونس على فوهة بركان، و الكرة الآن في يد الرئيس قيس سعيد، قبل فوات الأوان

م/ رباعـــة

ما قل و دل

منهج حياة

بقلم: د/ عمار جيدل

الإسلام ليس عجينة. يصنع منه كل ناظر ما يريد، بل هو منهج وأساس معرفي، يفسر الوجود، ويمنح الحياة وجهة لمن تشبع بمضامينه، وتحقق عقلا وقلبا بأنه مستخلف مؤتمن، وليس مالكا أصليا لما وضع فيه أو وضع بين يديه، بل ملكه الواهب حق الانتفاع بها، ولا يتصرف فيها تصرف المالك، بل يتعامل معها وفق ما يمليه عليه الواهب، إذ جاء الدين لإخراج الإنسان من داعية الهوى، فيكون باختياره؛ عبدا لله بعقله وقلبه، وملكاته واستعداداته. وأغلب من يعمل على نفي ما ثبت بالتواتر العملي(نقض العمل المستفيض نقله عبر العصور والأمكنة والمذاهب) يريد إسلاما يشكله هو؛ على مزاجه ومزاج موظفه. إسلام أبيض فلا لون ولا رائحة ولا ذوق، إسلام فاقد لأهم ما تتشكل منه حقيقته، وفق ما أخبر به التنزيل. قال تعالى:(إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)، وقال تعالى:(وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)، فهل يحيل التنزيل على أمر لم يتشكل، أم يحيل على حقيقة تشكلت؟، لا يحتاج ما ثبت بالتواتر العملي، إلى إعادة تشكل، ومن دعا إلى مثل هذا فهو يريد أن يتجاوز هذه الحقيقة الموضوعية، وهي مرتبة من مراتب الدين المنقولة خلفا عن سلف. ومنطق الأشياء يفرض التساؤل بكل براءة ووضوح، من المستفيد من التشويش على ما ثبت بالتواتر العملي؟ فتش، ستجد.

د عمار جيدل

تونس، قيس سعيد

حين يخيب الأمل من جديد

تيري بريزون

. وفي أواخر يناير، ثم أواخر فبراير 2011، بلغت هذه التعبئة ذروتها في اعتصامات القصبة، أمام مقر رئاسة الحكومة في تونس العاصمة، حين قدم بعد خمس سنوات على انقلاب قيس سعيد، تخيّم من جديد على تونس أجواء نهاية عهد. ففي 25 يوليو 2021، استولى على كامل السلطات وسط أجواء من الفرح والارتياح. ووعد بإعادة تونس إلى مسار الثورة، والتوفيق بين الديمقراطية والعدالة الاجتماعية بفضل هندسة مؤسساتية جديدة، ووضع حدّ للفساد المتفشّي داخل الدولة. غير أن مشروعه السياسي لم يُنتج سوى الاستبداد والعجز.

غداة انقلابه في 25 يوليو 2021، طُرح السؤال عما إذا كان قيس سعيّد يمتلك من الأدوات الفكرية والسياسية ما يؤهله لأن يكون "منقذ" تونس كما كان يزعم، أم أنه سيتحول إلى حاكم مستبد. وبعد خمس سنوات، لم يعد ثمة مجال للشك في الجواب. تحولت الحياة السياسية التونسية إلى يوميات قضائية لا تنتهي، بعدما أخضع القضاء للسلطة وأصبحت المحاكمات تتوالى للزج بالمعارضين والصحفيين والناشطين الجمعياتيين في السجون. كما اختفت فضاءات حرية التعبير والمبادرات الاجتماعية والثقافية وبات التضخم ونقص المواد والقيود المفروضة على الواردات تلقي بثقلها على الحياة اليومية للتونسيين. وفي ظل موجة الحر الحالية، تكشف انقطاعات المياه والكهرباء، مع الحرائق الكارثية، حجم عجز الدولة. كما يموت مرضى في المستشفيات بسبب انقطاع الأكسجين. وبنسبة استثمار لا تتجاوز 10.4 في المئة من الناتج المحلي الإجمالي، رغم انتعاش الاستثمار الأجنبي، تحتل تونس مرتبة متأخرة جدا على الصعيد العالمي. أما نسبة الدين العمومي (دون احتساب ديون المؤسسات العمومية،) فما تزال تتجاوز 80 في المئة.

ولم يكن الأمر يحتاج سوى إلى بضعة أيام من الشك بشأن الحالة الصحية للرئيس، خلال عطلة نهاية الأسبوع الثالث من شهر يوليو/تموز، حتى بدا وقوع انقلاب جديد وشيكا. فبعد خمس سنوات، يعيش التونسيون من جديد مشاعر الغضب والفزع نفسها التي سبقت انقلاب 25 يوليو 2021، في ذروة موجة قاتلة من جائحة كوفيد-19

ديمقراطية "قابلة للانهيار"

قبل إعلان قيس سعيّد تفعيل الفصل 80 من الدستور، الذي يجيز له اتخاذ "تدابير استثنائية" في حال وجود "خطر داهم"، بموجة من الابتهاج الشعبي. وأظهرت استطلاعات الرأي أن 94.9 في المئة من التونسيين أيدوا تفعيل الحالة الاستثنائية، وأن 86 في المئة أيدوا تجميد البرلمان، رغم عدم دستورية الإجراء، فيما أيد 88 في المئة رفع الحصانة البرلمانية عن النواب. وارتفعت نسبة الثقة في رئيس الدولة من 30 إلى 82 في المئة، وبلغت نسبة التفاؤل بالمستقبل77 في المئة1. وهي نتائج تعكس حجم الإخفاق الذريع لمسار الانتقال الذي انطلق عقب فرار الرئيس زين العابدين بن علي في 14 يناير/كانون الثاني 2011. كان ينظر إلى البرلمان (وهي نظرة لها ما يبررها) باعتباره "فضاء للصفقات المشبوهة بين الأحزاب، وللصراعات العقيمة والهزلية، ولتحصين أعضائه من الملاحقات

القضائية"2. وكان دستور 2014 قد وزّع السلطة بين ثلاث رئاسات - رئاسة الجمهورية ورئاسة مجلس نواب الشعب ورئاسة الحكومة- بهدف جعل التوافق ضرورة ملازمة لممارسة الحكم، غير أن هذه الهندسة انتهت إلى شل حركة الدولة. وبالنسبة إلى غالبية التونسيين، لم يؤد الانتقال الديمقراطي إلا إلى تدهور أوضاعهم المعيشية. فقد اتسعت الهوة بين الممثلين ومن يمثلونهم، وبلغ الاستياء مداه. وعلى عكس الآمال التي عُلقت على الديمقراطية بعد خمسة عقود من الحكم السلطوي، استفحل الفساد والمحسوبية، وتعمق انعدام الثقة في الدولة، واستمرت الفجوة بين الجهات. ويمكن في هذا الصدد استعارة عبارة المفكر الجزائري مالك بن نبي (1905-1973) والقول إن الديمقراطية البرلمانية، إذا كانت قد انهارت في 25 يوليو/تموز 2021، فلأنها كانت "قابلة للانهيار"3

النزعة السيادية الجديدة

جاءت خيبة الأمل هذه في وقت كانت فيه الديمقراطية الليبرالية تعيش أزمة، سواء بوصفها محطّ تطلّع عالمي للشعوب أو باعتبارها نمط حكم يضمن التوزيع العادل للسلطة والثروة. وتردّد في انقلاب قيس سعيّد صدى خطابات الشرعية التي استُخدمت خلال موجة الانقلابات في مالي (2020) وغينيا (2021) وبوركينا فاسو (2022) والغابون (2023). فقد كانت السلطات الجديدة تسعى إلى التحرر من الهيمنة المادية والرمزية للغرب، في نزعة وصفها الفيلسوف الكاميروني أشيل مبيمبي بأنها "نزعة سيادوية جديدة" 4كان قيس سعيّد يأخذ على دستور 2014 فصله بين البعد المؤسساتي والعدالة الاجتماعية، وتعامله مع هذه الأخيرة بوصفها نتيجةً فرعية للديمقراطية لا عنصراً من عناصرها، بل شرطاً من شروطها. استلهم قيس سعيّد بعض أفكاره من مجموعة محدودة من مثقفي أقصى اليسار، كانت تحظى بدعم ناشطين قريبين من أوساط مناهضة العولمة، ومنخرطين أحيانا في تحركات اجتماعية محلية. وكان هؤلاء يستشهدون بمفكر الاشتراكية التحررية بيار جوزيف برودون (1809-1865) وبالفيلسوف الماركسي توني نيغري (1933-2023). ومن هذا المحيط استمد سعيّد مشروع "البناء الجديد"، الرامي إلى إدراج العدالة الاجتماعية في صلب المسألة الدستورية.

وانطلاقاً من مبادئ مستمدة من المجالسية5، أو على نحو أدق من الكومونالية6، اقترح بناء نظام تمثيلي منبثق من الجهات. ويقوم هذا النظام على تسلسل تصاعدي في التعيينات، بالانتخاب أو بالقرعة، انطلاقا من المجالس المحلية ووصولا إلى المجلس الوطني للجهات والأقاليم، المختص بالقضايا الاقتصادية والاجتماعية. ويشكّل هذا المسار قناة تمثيلية موازية لمجلس نواب الشعب الذي يُنتخب أعضاؤه من بين مرشحين يزكّيهم ومن أبرز التناقضات التي أضعفت هذا المشروع القائم على الديمقراطية الجذرية أنه جاء بعد فوات اللحظة "الفوضوية" للثورة بزمن طويل. ففي خضم الفوضى التي سادت الأيام الأولى بعد رحيل بن علي، بادر شبان بصورة عفوية إلى تشكيل لجان شعبية لمراقبة التحركات المشبوهة لعناصر محرضة، وإدارة شؤون الأحياء، بل والحلول محل البلديات في بعض المناطقشبان ثوريون من الجهات للمطالبة بقطيعة كاملة مع النظام السابق. وهناك عاش قيس سعيّد لحظة انكشافه السياسي، والتقى بالمثقفين والنشطاء الذين سيوجهون مساره لاحقا.

مواطنو دوائرهم الانتخابية. ويجوز سحب الوكالة من جميع المنتخبين بالاقتراع المباشر. كما صمّمت الآليات الانتخابية بما يستبعد تدخل الأحزاب ويسمح بظهور طبقة سياسية جديدة لا تنبثق من الأجهزة الحزبية المركزية. وكان هذا التصور، نظريا، ينطوي على سحر اليوتوبيات ذات النزعة الفوضوية.، غير أن تطبيقه قد اصطدم بتناقضاته الذاتية.

عندما يفرض التنظيم الأفقي من الأعلى

في المقام الأول، لم يكن من المنتظر أن يُقدم النواب المنتخبون سنة 2019 على تقويض النظام الذي يستمدون منه سلطتهم. لذلك لم يكن أمام قيس سعيّد، لتنفيذ مشروعه، سوى هدم ذلك النظام بقرار أحادي. غير أن تدشين مشروع ديمقراطي بانقلاب ينفذه رجل واحد لم يكن يبشر بخير. وهناك عاش قيس سعيّد لحظة انكشافه السياسي، والتقى بالمثقفين والنشطاء الذين سيوجهون مساره لاحقا.لكن مشروعه سنة 2019 لم يكن يستند إلى أطر تنظيمية قائمة سلفا، كما كان الحال مع النقابات في أرجنتين خوان دومينغو بيرون (1946-1955)، أو مجالس الأحياء الشعبية في فنزويلا هوغو تشافيز (1999-2013)، أو مجالس العمال والجنود خلال الثورة السبارتاكية في ألمانيا سنة 1919. ولذلك كان عليه أن ينشئ من العدم، ومن أعلى وبموجب المراسيم، أسس تنظيم يفترض فيه أن يكون أفقيا وتصاعديا وعفويا.وقد تلخص المسار التشاوري في استشارة إلكترونية أطلقها قيس سعيّد في يناير 2022، والتي لم تكن سوى صورة هزيلة عن الديمقراطية التداولية: مجموعة من الأسئلة حول موضوعات متفرقة، من دون صياغة إشكالية واضحة، ومن دون تحديد الفئات المعنية بكل موضوع. وقد أتاحت له هذه الطريقة أن يستخلص منها ما يشاء من نتائج. ولم يشارك في الاستشارة سوى 500 ألف تونسي من أصل 12 مليونا، بينهم ثمانية ملايين في سن الاقتراع.

وفي مايو/أيار من العام نفسه، شكّل لجنة لصياغة مشروع دستور، ترأسها الصادق بلعيد، وهو رجل قانون قادم من زمن بن علي، ولا يؤهله مساره فعلا للاضطلاع بمشروع ثوري. وقد أعاد قيس سعيّد صياغة النص الذي قدمه إليه بلعيد في يونيو/حزيران على نحو واسع، إلى حد أن الأخير تنصل منه في النهاية. وبعبارة أوضح، تولى رئيس الدولة بمفرده صياغة دستور على مقاسه، بالغ المغالاة في تكريس الحكم الرئاسي.

العزوف عن المشاركة الديمقراطية

صحيح أن الدستور الذي أرسى الجمهورية الثالثة، وعُرض على الاستفتاء في 25 يوليو 2022، حظي بموافقة 94 في المئة من المصوّتين، لكن نسبة العزوف عن التصويت قاربت 70 في المئة. كما لم تتجاوز نسبة المشاركة في الانتخابات التشريعية التي جرت في ديسمبر2022 ويناير2023 عتبة 11 في المئة، ويعود ذلك جزئيا إلى دعوة الأحزاب السياسية إلى مقاطعتها. غير أن عوامل أخرى مهمة كان لها أثرها، إلى جانب الإرهاق الانتخابي. فقد أوضح كثير من الممتنعين عن التصويت أن الانتخابات الرئاسية وحدها تكتسي أهمية في نظرهم، لأن رئيس الدولة هو الوحيد الذي يمسك فعليا بمقاليد السلطة. وكان في ذلك شكل من أشكال التأييد، لا لجوهر مشروع قيس سعيّد الذي يُفترض أن يعزز الصلة بين الناخبين وممثليهم، بل لممارسته القائمة على تركيز السلطة في يد الرئيس.

وكان لآلية اختيار المرشحين بواسطة تزكيات المواطنين دور في ذلك أيضا. ففي المناطق الريفية، وقع الاختيار على أشخاص يتمتعون برصيد اجتماعي يستمدونه من روابط القرابة والجوار، أو، في حالات أقل، من قيادتهم لتحركات محلية. ولذلك كانت نسبة المشاركة أعلى بوضوح منها في المدن، حيث كان معظم المرشحين مجهولين تماما، واضطر الناخبون إلى التصويت على غير هدى، لعدم قدرتهم على ربط أي منهم بانتماء حزبي أو أيديولوجي.

ولم تكن نسبة المشاركة أعلى في انتخابات المجالس المحلية التي جرت في ديسمبر/2023 2024، إذ بلغت 11.66 و 12.44 في المئة على التوالي. ثم أعيد انتخاب قيس سعيّد في 6 أكتوبر2024 بنسبة 90 في المئة. ومع أن عدد الأصوات التي حصل عليها كان قريبا من حصيلته في انتخابات 2019، إذ نال 2.7 مليون صوت سنة 2019 مقابل 2.5 مليون سنة 2024، فإن نسبة المشاركة لم تتجاوز 29 في المئة. ويبدو أن العملية الانتخابية جرت في حد ذاتها بصورة سليمة، غير أن أحد منافسيه الاثنين أودع السجن قبل الاقتراع، فيما حالت عراقيل إدارية دون تقديم المنافسين الأشد خطورة ترشحاتهم. أما الزخم الديمقراطي الذي كان يُفترض أن تولده المجالس المحلية، فلا يكاد يرى له أثر. إذ لا تزال مساهمتها في صياغة مشاريع التنمية المحلية شكلية، فيما تخضع أنشطتها لإشراف السلطات الإدارية. وهو واقع يقع على النقيض تماما من الكومونالية والديمقراطية المباشرة. كما أن تسييس المسألة الاقتصادية والاجتماعية من خلال تمثيل مجزأ يميل إلى حجب المصالح والرؤى المتعارضة التي تتصارع داخل المجال السياسي الوطني. أما دور المجلس الوطني للجهات والأقاليم، الذي يُفترض أن يتبلور فيه المشروع الاقتصادي المنبثق من الشعب، فلا يزال غامضا.

في المقابل، تُصاغ استراتيجية حاسمة مثل الانتقال الطاقي في كواليس الوزارات وتحت إشراف خبراء أجانب. وقد وُضع البرلمان بغرفتيه أمام الأمر الواقع عندما طُلب منه، في أواخر أبريل2026، الموافقة على إسناد لزمات إلى شركات أجنبية لاستغلال محطات كهروضوئية.7

لم يكن الحماس الذي أثاره انقلاب قيس سعيّد في 25 يوليو 2021 تعبيرا عن تأييد لمشروعه القائم على تصور بديل للديمقراطية، بقدر ما كان، لدى شريحة واسعة لا يستهان بها، انعكاسا لرفض عميق لحركة النهضة الإسلامية المحافظة. ولم يحقق سعيّد فعليا من تلك التطلعات سوى أن زجّ براشد الغنوشي وبعدد كبير من قيادات الحركة في السجن حتى آخر أيامهم. إن لم يتغير شيء في الأثناء. وكان من بين دوافع تأييد قيس سعيّد الرغبةُ في تطهير الحياة العامة، بل ونقمةٌ صريحة على رموز المرحلة الانتقالية. بيد أن هذا المزيج لم يُفضِ إلى أي انتعاش في المشاركة، حتى في ظل آليات يُفترض أنها أرحب تمثيلاً. ففي الواقع، كان ذلك التأييد تعبيراً عن شوق إلى سلطة قوية، وكان سعيّد الأكثر استعداداً لتلبيته.

الشعب في مخيال قيس سعيد

المفارقة الكبرى في تجربة قيس سعيّد أنه وجد نفسه حاملاً لمشروع ديمقراطي مستلهَم من تصورات فوضوية، بينما يسكنه في العمق إيمان شبه ديني بالدولة. صحيح أنه رأى في شباب اعتصامات القصبة عام 2011 تجسيداً حقيقياً للشعب — هؤلاء الشباب الذين يمثلون في نظره الهامش الشعبي المقصى اجتماعياً، الساعي إلى الاعتراف به وإدماجه، وإلى إعادة كتابة شروط العقد الاجتماعي. لكن سعيّد، وإن رفع شعار الثورة "الشعب يريد"، لا يرى في الشعب واقعاً حياً يتجلى في نقابات ومنظمات وحركات اجتماعية مستقلة. الشعب عنده بناء خطابي، لا يملك حق تفسيره غيره.

والأكثر مفارقةً أن هذا الخطاب بعينه يخدم في نهاية المطاف أهداف الاتحاد الأوروبي في إغلاق الممر التونسي أمام الهجرة القادمة من جنوب الصحراء، في مقابل دعم مالي وغطاء سياسي.

. إن مفهوم "الشعب" مفهوم مفتوح بطبيعته، والمعنى الذي يُسبغ عليه هو ما يحدد وجهة أي مشروع سياسي. فسعيّد لا يستحضر مثلاً شعب "العمال" كما تكشفه قراءة مادية لعلاقات الإنتاج تلك القراءة التي تُفضي إلى بناء مشروع سياسي وصياغة استراتيجيات للتغيير وتشكيل تحالفات.

ولا يتجسد الشعب في خطابه إلا عبر صورتين، كلتاهما نتاج رؤية متخيّلة للواقع. الأولى صورة مشوهة للعامة، يُختزلون في دور الضحية، يستحضرهم سعيّد شهوداً على هجومه المتواصل على "الخونة" و"الفاسدين" و"المضاربين". لا أحد يُسمّى في خطاباته، ولا شيء يُفسّر، إذ "الشعب يعرف التفاصيل" على حد تعبيره المتكرر. في المقابل، تنطلق باستمرار حملات تشهير عبر منصات تواصل تديرها الرئاسة عن كثب، تعقبها في الغالب اعتقالات وأحكام بالإدانة. وهذا الخطاب يقود صاحبه إلى العجز، ويُغذي نظرة ارتيابية إلى المجتمع.

أما الاختلالات الاقتصادية فتُرد دائما إما إلى تخريب إدارة تفتقر إلى الحس الوطني، وإما إلى انحراف أخلاقي لدى الفاعلين الاقتصاديين. خلاصة القول: صراع بين "شعب" فاضل ووطني لكنه مسلوب، وبين أعداء في الداخل يخدمون مصالحهم أو مصالح قوى خارجية. ولم يقدم سعيّد في أي لحظة تحليلاً للنموذج الاقتصادي التونسي أو آليات اشتغاله أو جذوره التاريخية. أما فهم مَواطن الضعف والقيود التي تحدّ من طاقات الاقتصاد التونسي، فيبدو غريبا تماماً عن عالمه الفكري.

أما الصورة الثانية للشعب في خطاب سعيّد فهي "الإثنوس"، أي الشعب المُعرّف بانتمائه إلى جماعة ثقافية أو دينية أو حتى عرقية. وقد كشف عن ذلك جلياً في فبراير 2023، حين وصف المهاجرين القادمين من أفريقيا جنوب الصحراء بأنهم أدوات في مؤامرة تستهدف تغيير التركيبة الديمغرافية لتونس وقطعها عن جذورها العربية والإسلامية. وقد أطلق هذا الخطاب طاقة عنصرية كانت كامنة، اشتعلت على منصات التواصل الاجتماعي، ولا تزال تتفجر منذ ذلك الحين في موجات متكررة من العنف. والأكثر مفارقةً أن هذا الخطاب بعينه يخدم في نهاية المطاف أهداف الاتحاد الأوروبي في إغلاق الممر التونسي أمام الهجرة القادمة من جنوب الصحراء، في مقابل دعم مالي وغطاء سياسي.

تصدع الخطاب السيادي

تحطّمت سيادوية قيس سعيّد على صخرة الواقع. فالجيش التونسي لا يزال مندمجاً في المنظومات الاستراتيجية الأمريكية، فيما تُكرّس التمويلات السعودية وإمدادات الغاز الجزائري تبعيةً قائمة. أما خطاب "التعويل على الذات" الذي رفع به سعيّد قرض صندوق النقد الدولي في أبريل 2023، فوهمٌ لا أكثر: تونس تواصل الاستدانة بآجال طويلة لا تفعل سوى تأجيل الأزمة، بينما تستنزف الدولة طاقة البنوك التمويلية وتلجأ إلى طباعة النقود.8

وحتى في قضية بحجم فلسطين، التي يتقدم سعيّد بوصفه حاملاً لواءها، اضطرت تونس إلى التراجع. ففي نوفمبر 2023، أوقف مسار التصويت على قانون تجريم التطبيع خلال جلسة برلمانية، بعد سبع مكالمات من حكومات غربية. وفي أكتوبر 2025، اعتُقل المنظمون لأسطول غزة، وأُغلق الممر التونسي أمامه فعلياً.

إلى متى يمكن لهذا الوضع أن يصمد؟ لقد اختفى "المجالسيون" منذ أمد من محيط الرئاسة، وتقوقع الحكم على زمرة عائلية ضيقة تتخذ من القضاء درعاً لحماية نفسها. والعقد الاجتماعي مع التونسيين يبدو وكأنه زال.

كان سعيّد يعد بالاستجابة لتوق التونسيين إلى التجدد الوطني، غير أن هذه المهمة بدت أكبر من قدراته. وكما خاب الأمل عند الاستقلال عام 1956، ومع بن علي عام 1987، ومع ثورة 2011، ها هو يخيب مجدداً. لكن خلافاً لتلك المحطات، لا أفق انتظار اليوم ولا بديل يلوح. والتغيير، إن جاء، فالأرجح أنه لن يكون ثمرة تعبئة ديمقراطية، بل حصيلة تفاوض بين الأجهزة الأمنية والدول "الشريكة" الحريصة على استقرار تونس.

تيري بريزيون
.صحفي فرنسي مهتم بالقضايا العربية

تونس تعيش أيامها الحرجة

بقلم: صالح عطية

شهدت شوارع العاصمة التونسية، ومدن عديدة، احتجاجات وتظاهرات شعبية واسعة، ضد الأوضاع المعيشية المتردية، وتفاقم الأزمة الاقتصادية، واستمرار منظومة الحكم الحالية، دون أي تغيير في الوضع التونسي منذ "انقلاب" الرئيس قيس سعيد على مسار الانتقال الديمقراطي في يوليو/تموز 2021، بدعم من أجهزة الدولة ومؤسساتها الصلبة.

تردد المحتجون الذين خرجوا في العاصمة التونسية (شارع الحبيب بورقيبة، وحي التضامن)، وفي محافظات نابل وقبلي ومدنين وقابس وصفاقس والمنستير، وغيرها، بأزمة انقطاع الكهرباء في كامل البلاد لعدة أيام، وفقدان الماء في عدد من المحافظات، وفي الأحياء الشعبية المتاخمة للعاصمة، كما طالب المتظاهرون بالإفراج عن المعتقلين السياسيين، واحترام الحقوق والحريات العامة وحرية التنظيم، واستعادة قيم الجمهورية، التي نال من هيبتها الانقلاب، وحولها إلى حدث عابر، بل مأساوي وكارثي، وفق ما قال المحامي، سمير ديلو، رئيس هيئة الدفاع عن المعتقلين السياسيين.

المظاهرة.. الحدث

وكانت مظاهرة العاصمة التونسية، الأوسع والأكثر ثقلا سياسيا وزخما شعبيا، وحضورا إعلاميا لافتا، مع خروج نحو 3 آلاف شخص لأول مرة منذ 25 يوليو/تموز 2021، من أطياف سياسية مختلفة ومتناقضة، رافعين شعار "الشعب يريد إسقاط النظام". و"لا ضو. لا ماء، الحبس والغلاء".

كانت ساحة الثورة التونسية، وسط شارع الحبيب بورقيبة، على مقربة من وزارة الداخلية، تعج بالمحتجين، وبعائلات المعتقلين السياسيين، والمعارضين للرئيس سعيد، وعدد من الإعلاميين والمحامين ونشطاء المجتمع المدني، الذين صدرت بشأنهم أحكام مشددة، بلغ بعضها نحو 90 عاما، كما هو الحال بالنسبة للأستاذ راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة، ورئيس البرلمان الشرعي.

كانت هذه الاحتجاجات، تعبيرا من التونسيين عن نفاد صبرهم من منظومة الحكم الحالية، الجاثمة على صدورهم، منذ أكثر من خمس سنوات، بلا أي منجز سياسي أو اقتصادي أو تنموي أو ثقافي أو دبلوماسي، في حصيلة صفرية، يصفها المفكر التونسي، زهير إسماعيل بـ"نمط الدولة الفاشلة". وتساءلت بشأنها مواقع ألمانية وفرنسية وأمريكية وإيطالية، عن مدى شرعية استمرارها، في ظل الفشل المعوم على كامل القطاعات والمجالات.

لم ينس المحتجون، وهم يهتفون أمام الكاميرات الأجنبية، التي حضرت لتسجيل حجم المعارضة للرئيس سعيد، لحظة إعلانه "الانقلاب" في 25 يوليو/تموز 2021، واضعا بواسطتها، بوصلة لحكم، كان الكثير منهم، توقع حصيلته السلبية بشكل مبكر.

كان خطاب قيس سعيد أمام مجلس الأمن القومي، تعبيرا جديدا عن "مشروع" من خارج الصندوق، أي من خارج أي هاجس حزبي أو سياسي، فكان حديثه أمام القوى الصلبة، تجسيدا لإرادة إعادة الهيمنة على السلطة، بتحالف موضوعي مع "الدولة العميقة"، التي وضعته هي الأخرى بين خيارين: إما الإقدام على خطوة الانقلاب لإنهاء مرحلة وتدشين وضع جديد، أو التنحي عن الحكم بصورة مبكرة.

فساد الشعبوية.. أو خراب البصرة

بدأ الرجل بإيقاف عمل "الهيئة الوطنية لمكافحة الفساد"، وأغلق مقراتها في مختلف المحافظات. كانت الهيئة تمثل العمود الفقري في محاربة الفساد، عبر قوانين وآليات مضبوطة، وقد أحالت المئات من ملفات الفساد على القضاء، في إطار مهامها. لكن سعيد، أغلقها.

كما شكك في نزاهة "لجنة التحاليل المالية"، التابعة للبنك المركزي التونسي، والتي تنظر في سير الأموال القادمة من مصارف ومؤسسات مالية أجنبية، وتلك التي تعبر المؤسسات المالية التونسية، باتجاه الخارج.

رفضت اللجنة، المعروفة بصرامتها، وحرفية عملها، الانصياع لأوامر من أعلى هرم السلطة، وأصرت على عدم التعاطي مع ملفات (سواء سياسية أو لرجال أعمال نافذين)، إلا بموجب القانون، واللوائح المنظمة لأعمال اللجنة، فكان أن استبدل الرئيس تركيبتها على الفور، فمن لا يذعن لإرادته، مآله التغييب القسري في الفقه الرئاسوي الجديد.

وجرى التنكيل بالمبلغين عن الفساد، رغم أن القانون التونسي يوفر الحماية لهم، لكن الرياح جرت بما لا يشتهيه المبلغون، الذين وجدوا أنفسهم في مواجهة تهم كيدية، أو قرارات خارج القانون، تحيلهم على الطرد النهائي من عملهم، ما جعل الإبلاغ عن الفساد، يتعطل، والفاسدين يتحركون في جميع الاتجاهات.

التنمية والبطالة: أمل سعيد.. والنكد المجتمعي

وعندما أخفق الرئيس سعيد في إنقاذ الاقتصاد، أيقظ الرجل مشاريع قديمة، نخرها السوس، على غرار "الشركات الأهلية"، التي أعرض عنها العقيد الليبي الراحل معمر القذافي، نظرا لفشلها، وقصورها عن إيجاد مخارج حقيقية للبطالة وخلق الثروة.

فقد أطلق قيس سعيد مشروع "الشركات الأهلية"، لتغيير هيئة وبيئة فرص العمل في أوساط الشباب ولدى أصحاب الشهادات العليا، وخلق مؤسسات من خارج السياقات التقليدية، ومن دون اللجوء إلى صندوق النقد الدولي وشروطه التي اعتبرها مجحفة، وماسة بالسيادة، وأنفق عليها مبلغا إجماليا يقدر بنحو 20 مليون دولار، بين سنوات 2023 و2025، لكنها عجزت عن تغيير معادلة التشغيل، ولم تحسن أرقام البطالة المتفاقمة في البلاد.

لذلك، ظلت البطالة تراوح مكانها بنحو 15.2 % مع نهاية العام 2025، وفقا لبيانات المعهد الوطني للإحصاء (مؤسسة رسمية).

لكنّ الخبراء الاقتصاديين، يؤكدون أن هذه النسبة، ناتجة بالأساس عن استقطاب عديد البلدان الأوروبية، أعدادا كبيرة من الكفاءات التونسية، في القطاعات الطبية وشبه الطبية، والهندسة،والمعلوماتية، والإلكترونيك وميكانيكا السيارات،

وغيرها، فضلا عن المهاجرين غير النظاميين، الذين تمكنوا من الاستقرار في بلدان أوروبية، رغم الحصار البحري المضروب عليهم من قبل السلطات التونسية، في إطار الاتفاقية مع إيطاليا، وبالتالي لا تعكس هذه النسبة، حقيقة أرقام البطالة المتفشية في البلاد.

ويتحدث الباحثون في سوسيولوجيا العمل في تونس، عن أن البطالة تضرب المجتمع في عمقه، وبين مختلف مستويات الأعمار والأجيال، بشكل غير مسبوق، إلى الحد الذي جعل حركات الاحتجاج، تركز في الآونة الأخيرة، على قضية التشغيل، والشباب المعطل، وأصحاب الشهادات العليا بلا وظائف.

على الصعيد التنموي، أثارت نسبة النمو المسجلة بنحو 3.2% خلال الربع الثاني من العام الجاري، مقارنة بالربع المقابل من السنة الماضية، استغرابا لدى خبراء اعتبر بعضهم أن هذا الانتعاش لا يعكس بالضرورة تحسنا هيكليا في الاقتصاد.

إذ لا تكفي هذه الأرقام لتأكيد عودة الاقتصاد إلى مسار التعافي. فرغم انتعاش قطاعات مثل الفوسفات والزراعة والبناء والسياحة، يرى بعض المحللين، أن ما تحقق هو "نمو وهمي" لم ينعكس على القدرة الشرائية، أو خلق فرص عمل لأصحاب الشهادات، وارتبط بعوامل ظرفية فقط، يضاف إلى ذلك، أن الاستهلاك الخاص لم يتحسن؛ نتيجة غلاء الأسعار، والارتفاع الكبير في ريع البنوك وخدماتها (القروض بالأساس)، خصوصا بعد إلغاء التعامل بالصكوك بدون أرصدة مالية في تونس.

ومع نسبة التضخم التي تراوحت خلال السنوت الست الماضية بين 7.9 و5.6%، وتدهور رواتب التونسيين، وتراجع مستوى عيش العائلات التي تصنف "تحت خط الفقر"، وارتفاع مبالغ فواتير الماء والكهرباء والغاز، بشكل لافت، تكون عملية النمو المجمدة، أو المؤجلة، قد زادت الوضع الاقتصادي والاجتماعي، صعوبة وتعقيدا.

وهكذا، التف حبل الفساد، وضيق الأفق الاقتصادي، وشعبوية الخيارات المحدودة والهامشية، على رقبة الهواجس التنموية، فازداد الفقراء بؤسا.

وبات المرء يرى في قلب الأحياء المترفة (فضلا عن الأحياء الشعبية)، بؤساء يجمعون فتات القمامة والقوارير البلاستيكية، في مشـــهد يعكـــس بونا

شاسعا، بين الخطاب السياسي الذي يتحدث عن "التحرير الوطني"، فيما أرجل الشباب والكهول (نساء ورجالا)، غارقة في وحل الفقر والخصاصة والحرمان.
ولم يكن أحد من هؤلاء، يدري أنه بعد 70 عاما على استقلال البلاد، وفي غمرة الاحتفالات اليتيمة بعيد الجمهورية 25 يوليو/ تموز 2026، سيكون قوتهم اليومي، مستخرجا من أكياس القمامة، تحت أعين رجال الدولة وأعوانها وموظفيها، في مشهد سريالي حزين وكئيب، يؤكد فشل النموذج التنموي التونسي، وعجز القيادة الراهنة، على بناء تنمية تستجيب لتطلعات التونسيين.

التداين.. الحل الوهمي لنظام سعيد

وبدلا من البحث عن مخرج لمأزق "التنمية المعطلة"، دخل الرئيس التونسي في صراعات دونكشوتية مع المانحين الدوليين، خاصة صندوق النقد الدولي، تحت عنوان استرجاع هيبة الدولة وسيادة قرارها، لاعبا على وتر الحساسية التونسية إزاء الأجنبي.
وفي الحقيقة، كانت تلك مجرد مواقف كلامية مؤقتة، فبمجرد أن تم تشكيل البرلمان الجديد سنة 2023، اتخذ الرئيس التونسي من التداين، سياسة قائمة منذ انفراده بالحكم، وبات برلمانه، شبه متخصص في التصديق على القروض الأجنبية، من دول ومؤسسات إقليمية ومانحين دوليين، بما جعل نسبة الدين العام في تونس، ترتفع خلال عام 2026، إلى حوالي 83% من الناتج المحلي الإجمالي، وفق توقعات الحكومة لنهاية العام الجاري، مقارنة بنحو 80.46% في سنة 2025.
وهنا، يرفع بعض الخبراء "شارة الخطر"، معبرين عن عدم اطمئنانهم لهذه النسب؛ لأن الدولة أثناء احتساب الديون الخارجية، أبعدت المؤسسات العمومية من حسابات الخسارة، وهي المؤسسات المثقلة بالديون الخارجية منذ عقود (على غرار شركات الكهرباء والماء والفوسفات)، ما جعل عديد المحللين، حتى القريبين من السلطة، يشعرون بالحرج، إزاء سياسات التداين، التي عطلت نسبة النمو، وساهمت في الركود الاقتصادي، وجعلت الدولة تراهن على موارد ضعيفة (الضرائب بالأساس)، فيما آلة الإنتاج معطلة، وعملية خلق الثروة، مجمدة.
بل إن موازنة الدولة التونسية، لم تبلغ منذ استقلال البلاد في العام 1956، هذا المستوى من التداين، وكان ثمة "ضابط"، يجعل الديون مسيطرا عليها، تجنبا لأي هيمنة أجنبية، أو اختراق يمس السيادة الوطنية، لكن سعيد، اتجه إلى الخيار الأسوأ، لتغرق تونس في بركة من الديون الخارجية، بصورة غير مسبوقة، رغم حرص الدولة التونسية على تسديد الديون الخارجية، وهو سلوك معروف عنها منذ عقود طويلة.
ومع انسداد أفق التداين الخارجي، وحجم الانتقادات التي وجهها الخبراء من داخل النظام وخارجه لهذه السياسة، التي توصف بكونها "بلا أفق سياسي أو اقتصادي"، لجأ قيس سعيد إلى ما يسميه بـ"التعويل على الذات"، من خلال الاقتراض المحلي، حيث أعلنت الدولة، سعيها لجمع نحو 6.3 مليارات دولار من السوق المحلية، سيكون جزء كبير منها من البنك المركزي التونسي، والبقية من البنوك العمومية والخاصة، ما جعل اقتصاد البلاد يعاني خللا هيكليا لافتا، على اعتبار أن الاعتماد على الاقتراض الداخلي، سيزيد من هشاشة النظام المالي، ويحد من قدرة المؤسسات الاقتصادية على تمويل مشاريعها وتوفير فرص عمل لها.وعكست موازنة العام الجاري (2026)، أرقاما مذهلة في مجال التداين، حيث يرتفع العجز إلى مستوى 3.8 مليارات دولار تقريبا، مقارنة بنحو 3.3 مليارات دولار سنة 2025.
وتبدو البلاد اليوم أمام خطر التفريط في أصولها الإستراتيجية، من خلال الاتجاه إلى "تحويل الديون"، مقابل خصخصة مؤسسات عمومية حساسة أو قطاعات سيادية (الطاقة)، دون تفاوض متكافئ مع الدول الدائنة.
وهو ما قد يحول الديون، إلى نفوذ اقتصادي دائم، بدل أن تكون أداة تنموية، ما يفقد الدولة سيطرتها على القرار الاقتصادي الوطني، ويمس السيادة الوطنية.

مسار "الاستبداد السياسي"

وعندما تفرط دولة في مرتكزاتها الأساسية، ودعائم استقرارها، يتم النيل من سيادتها واستقلالية قرارها السيادي.
والرئيس سعيد، برع على الصعيد السياسي، في التفريط في النموذج التونسي الذي قاد موجة من ثورات الربيع العربي، وباتت دول تخشى من "عدوى الثورة التونسية" عليها.
فقد اتخذ الرئيس التونسي، جملة من القرارات والخيارات، أهمها:
1- تجميد عمل البرلمان في العام 2021، ورفع الحصانة عن نوابه المنتخبين، من خلال ما عرف بـ"انقلاب يوليو 2021".
2- إحداث تغيير جذري في النظام السياسي، باتجاه نظام رئاسوي، عبر الاستحواذ على جميع السلطات، التنفيذية والقضائية، و"إدارة" الشأن البرلماني من قصر قرطاج.
3- أقسم، بأنه سيحمي دستور 2014، الذي توافقت بشأنه كل القوى السياسية والجمعياتية والنقابية والدبلوماسية، وهو الدستور الذي صعد بواسطته إلى الحكم في 2019، لكنه استبدله بدستور جديد،كتبه بخط يده، في موقف لم يعرف له مثيل، حتى في أعتى الملكيات تاريخيا.
4- توقيف عجلة الانتقال الديمقراطي فجأة، بذرائع واهية، حيث سارعت ماكينة السلطة الجديدة، في نحت معالم مرحلة مغايرة، لكنها بدلا من مراجعة بعض الإجراءات والقوانين وبعض مضامين دستور 2014، وإدخال جرعة من الإصلاحات السياسية الضرورية، اختار نظام سعيد، الدخول في الاستبداد بشكل تدريجي، عبر موجة من الإيقافات وما استتبعها من محاكمات سياسية، شملت قيادات حزبية، ونشطاء، وشخصيات سياسية بارزة، وقضاة، وإعلاميين معارضين لسياسات سعيد، بتهم تراوحت بين "التآمر على أمن الدولة" وتكوين "وفاق إجرامي" و"الخيانة"، و"الفساد السياسي"، في محاولة لتغيير مكونات المشهد السياسي وشخوصه، واللاعبين على رقعته.
5- ألغى سعيد المجلس الأعلى للقضاء، وجمد القضاة الشرفاء، وعمل طيلة سنوات الانقلاب بمقولة "القضاء وظيفة"، مكرسا ما يعرف بـ"قضاء التعليمات"، حيث تدار الملفات من غرف وزارة العدل، ويحكم بعض القضاة بأحكام جاهزة. ورغم أنه أعلن نيته تشكيل مجلس قضائي جديد، بشروط لا ديمقراطية، كما يقول خصومه، فإنه لم يفعل ذلك، ليظل القضاء تحت إمرة السلطة وأحكامها وحساباتها.
6- أعلن في نص دستوره المكتوب بيده، أنه سيشكل المحكمة الدستورية، لكي تلعب دورها في حال حدث شغور في الرئاسة، لكنه لم يحرك ساكنا إزاء هذه المحكمة منذ 6 سنوات، لتصبح البلاد في حالة ترقب، مع انتشار شائعات مرض رئيس الجمهورية، ودخوله المستشفى العسكري، دون صدور أي بلاغ رسمي من قصر قرطاج، أو من أي من مؤسسات الدولة المعروفة وصاحبة القرار.
7- تعميم القمع والقهر السياسي، الذي شمل رموز وزعماء المعارضة الديمقراطية، في مقدمتهم، الأستاذ راشد الغنوشي، رئيس حركة النهضة، والمحامي نجيب الشابي، رئيس "جبهة الخلاص"، اللذان بلغا من العمر عتيا (أكثر من 80 عاما)، إلى جانب القضاة ورجال الأعمال، والإعلاميين والمدونين ونشطاء المجتمع المدني، من الرجال والنساء، وتم تجميد أعمال منظمات حقوقية عريقة في تونس، على غرار رابطة حقوق الإنسان. في كلمة، تحولت البلاد إلى سجن كبير، وباتت الدولة طاردة لأبنائها، وفكرهم ومواقفهم.
8- على المستوى الدبلوماسي، تعيش البلاد عزلة إقليمية ودولية غير مسبوقة، بعد أن كانت تضطلع بالوساطة بين بعض الفرقاء في العالم العربي، وتلعب دورا مهما في تقريب الشقة بين بعض الأنظمة داخل البيت العربي (الجامعة العربية).

الخلاصة

بعد خمس سنوات على انقلاب سعيد، أثبتت جميع الوقائع، وفقا لمراقبين من الخارج قبل الداخل، أن الوعود التي رفعت باسم "التصحيح" و"الإنقاذ"، لم تجد طريقها إلى التنفيذ؛ لأن السياسات غائبة، وآليات الحكم الديمقراطي، عسيرة على الهضم من قبل الأطروحات الشعبوية، والحريات ليست مجالا للمساومة، والثورة لا تمحى بمجرد قرار سياسي، والأهم من ذلك، أن تطلعات الشعوب، لا يمكن أن تدفن، في تربة غريبة، على غرار الشعبوية الهشة والرثة، فكرا وممارسة وأفقا سياسيا.
تونس اليوم، تغرق في أزمة سياسية واقتصادية واجتماعية وقيمية عميقة لحكم فردي، اعتقد التونسيون أنهم أنهوه في يناير/كانون الثاني 2011، ليتحول لديهم إلى كابوس، عناوينه البارزة، كمية ضخمة من الأوهام، وحتى "النوايا السيئة"،ما خلق أزمة ثقة بين الرأي العام وقيس سعيد، وهو ما يفسر تنامي الاحتجاجات في مناطق عدة من البلاد، ومنها احتجاجات الأيام القليلة الماضية.
فهل تمهد هذه الاحتجاجات، التي كانت متابعة بشكل واضح من أجهزة بلدان صديقة وشقيقة لتونس، ، لتغيير في البلاد؟ وكيف ستكون اتجاهات هذا التغيير؟بالتأكيد، لن يكون التغيير إلا تونسيا،

صالح عطية
صحفي تونسي معارض

تونس في عام 2026:
القمع السياسي، والاضطرابات الاجتماعية، والضغوط الاقتصادية

ملخص

تحلل هذه المقالة الوضع السياسي الراهن في تونس سنة 2026، مع التركيز على المركزية السياسية، وتشتت المعارضة، والتعبئة الاجتماعية، والضغوط الاقتصادية، والعلاقات الخارجية. وتسلط الضوء على ضيق الحيز الديمقراطي، وتزايد السخط الشعبي، والتحديات التي تفرضها التحالفات الداخلية والإقليمية المتغيرة.

مقدمة

بعد مرور أكثر من عقد على ثورة 2011 في تونس، لا يزال انتقالها السياسي محل جدل واسع. فمنذ عام 2021، شهدت البلاد تشديداً لسيطرة السلطة التنفيذية، وتضاؤلًا للتعددية، وقمعًا مستمرًا للمعارضة. وقد برزت هذه التوجهات بالتزامن مع تنامي السخط الاجتماعي وتغير أنماط السياسة الخارجية والتعاون الإقليمي.

قائمة المحتويات

الوضع السياسي: ترسيخ السلطة والقمع
الاحتجاجات الاجتماعية في تونس وحدود الفعل السياسي للمعارضة
الاقتصاد التونسي تحت الضغط: عجز الموازنة والاقتراض المتزايد في ظل هشاشة هيكلية
العلاقات الخارجية: المشاركات الإقليمية والدولية
أزمة حوكمة عند تقاطع الضغوط السياسية والاقتصادية

الوضع السياسي: ترسيخ السلطة والقمع

يستمر النظام السياسي التونسي في إعادة تشكيله من خلال ترسيخ سلطة الرئيس. أدى تعليق الرئيس قيس سعيد للبرلمان عام 2021، وسن دستور جديد عام 2022 وسع صلاحيات السلطة التنفيذية، وفرض قيود على المنافسة السياسية، إلى إضعاف التعددية المؤسسية بشكل جوهري. وقد أكدت الانتخابات الرئاسية لعام 2024، التي شهدت حصول سعيد على نسبة تصويت رسمية عالية، ولكن مع أدنى نسبة مشاركة على الإطلاق، ومشاركة ضئيلة من الشعب، هذا التراجع في حدة المنافسة السياسية.

وفي أواخر عام 2025، أصدرت محكمة استئناف أحكاماً قاسية بحق عشرات المعارضين السياسيين، شملت أحكاماً بالسجن المؤبد تصل إلى 45 عاماً، ومدد سجن طويلة أخرى، وذلك في إطار حملة ضد منتقدين تتهمهم الحكومة بـ"التآمر ضد أمن الدولة". ويرى العديد من المراقبين أن هذه المحاكمات ذات دوافع سياسية، وجزء من حملة قمع متصاعدة.

الاحتجاجات الاجتماعية في تونس وحدود الفعل السياسي للمعارضة

شملت الاحتجاجات في تونس خلال عامي 2025-2026 مظالم سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية، إلا أنها جرت في ظل معارضة متشرذمة وضعيفة مؤسسياً. وقد تجلى السخط الشعبي المستمر في احتجاجات الشوارع والإضرابات والاضطرابات القطاعية، كما تظاهر العمال والطلاب والمحامون والسكان المحليون ضد القمع السياسي والصعوبات الاقتصادية، ولفتت الاحتجاجات البيئية في مناطق مثل قابس الانتباه إلى التلوث ومخاوف الصحة العامة، وأكدت التحركات القطاعية، بما في ذلك إضرابات المعلمين والمهنيين، على تزايد الضغوط الاجتماعية.

وعلى الرغم من استمرار الاحتجاجات، لا تزال المعارضة السياسية في تونس متشرذمة، تعاني من الانقسامات الداخلية والقيود القانونية والقمع مع نفور وسخط شعبي من الشأن العام والسياسي الذي أضعف قدرتها على حشد قواعدها الشعبية بفعالية. وقد فاقم اعتقال وسجن شخصيات معارضة بارزة هذه الديناميات. في ديسمبر/كانون الأول 2025، اعتُقل زعيم المعارضة المخضرم أحمد نجيب الشابي، رئيس جبهة الإنقاذ الوطني وشخصية تاريخية في السياسة التونسية، لتنفيذ حكم بالسجن 12 عاماً بتهمة التآمر، وهي تهمة وصفت على نطاق واسع بأنها ذات دوافع سياسية، في واحدة من أشد حملات القمع التي استهدفت المعارضة المنظمة في السنوات الأخيرة.

كما صدرت أحكام طويلة بحق شخصيات معارضة أخرى، من بينهم المحامي الحقوقي اليساري عياشي الهمامي والناشطة شيماء عيسى، واحتُجزوا لتنفيذها، مما زاد من إضعاف القيادة المنظمة وقيد حراك المعارضة.

نتيجةً لهذه التطورات، باتت العديد من الاحتجاجات، مدفوعةً بمظالم اجتماعية واقتصادية، بدلًا من كونها تحركًا سياسيًا منسقًا تحت قيادة موحدة، مما يعكس استمرار السخط الشعبي وحدود المعارضة الرسمية.

الاقتصاد التونسي تحت الضغط: عجز الموازنة والاقتراض المتزايد في ظل هشاشة هيكلية

لا يزال اقتصاد تونس في أوائل عام ٢٠٢٦ يعاني من ضغوطات. فبينما تظهر بعض المؤشرات نمواً طفيفاً، تستمر **التحديات الهيكلية:** ارتفاع معدلات البطالة، والتضخم، وضعف الاستثمار، والدين العام، مما يُعيق الآفاق الاقتصادية. ويرى المحللون أن الإصلاحات الاقتصادية بحاجة إلى معالجة الاختلالات العميقة في السوق وضعف جاذبية الاستثمار لخلق فرص عمل وتحقيق نمو مستدام.

وقد فاقمت المعاناة الاقتصادية من إحباط الشعب وتآكلت ثقته في الحكم. ويرى كثير من التونسيين أن عدم الاستقرار السياسي وإخفاقات الحكم قد فاقمت الأوضاع الاقتصادية اليومية، مما أدى إلى تفاقم السخط الاجتماعي وربط المظالم الاجتماعية والاقتصادية بانتقاد القيادة السياسية.

ومن ملامح ذلك أن موازنة العام الجديد تعتمد على الاقتراض الداخلي (19.1 مليار دينار) والخارجي لتغطية عجز مالي كبير، مع دور متزايد للبنك المركزي في تمويل الدولة، إضافة إلى توقعات بتضخم مالي (حوالي 8.4%) وعدم زيادة في الأجور، فضلا عن تحديات استثمارية ناتجة عن هشاشة هيكلية وتأثيرات الصراعات الإقليمية.

العلاقات الخارجية: المشاركات الإقليمية والدوليةالعلاقات الخارجية: المشاركات الإقليمية والدولية

تعكس السياسة الخارجية التونسية جهوداً للحفاظ على الشراكات الاستراتيجية ومواكبة الديناميكيات الإقليمية في ظل عدم الاستقرار الداخلي. وتتعاون تونس مع الجهات الفاعلة الدولية في مجالات التعاون الاقتصادي، والتنسيق الأمني ومكافحة الهجرة في المتوسط، والحوار الدبلوماسي.

الشراكات الإقليمية

تشمل العلاقات الخارجية لتونس العديد من المشاركات الإقليمية، حيث تلعب الجزائر المجاورة دوراً هاماً. في أكتوبر/تشرين الأول 2025، وقّعت تونس والجزائر اتفاقية مجددة للتعاون العسكري والدفاعي، موسعةً بذلك نطاق التعاون الدفاعي ليشمل التدريب .والمناورات المشتركة والتنسيق الاستراتيجي لمواجهة التحديات الأمنية المشتركة على طول حدودهما الطويلة. وقد دعا منتقدون في تونس إلى مزيد من الشفافية بشأن الاتفاقية، معربين عن مخاوفهم بشأن تداعياتها المحتملة على السيادة ونطاق الترتيبات الأمنية العابرة للحدود.

يجب فهم هذا التعاون في سياق أوسع من العلاقات الإقليمية البراغماتية، حيث تنسق الجزائر وتونس في مجالات أمن الحدود والهجرة والتبادل الاقتصادي، مع الحرص على مراعاة الحساسيات الداخلية. إلا أن هذه الشراكة لم تخلُ من الجدل: ففي يناير/كانون الثاني 2026، أعادت الجزائر قسراً الشخصية المعارضة التونسية سيف الدين مخلوف، طالب اللجوء المسجل، إلى السلطات التونسية، ما أثار إدانة منظمة العفو الدولية باعتباره انتهاكًا للقانون الدولي وتقويضًا لحماية الحريات المدنية. تُبرز هذه الحوادث جدلا حول أبعاد العلاقات المعقدة للتعاون الإقليمي، والتي تتفاعل مع التحديات السياسية الداخلية التي تواجهها تونس.

القبة الحرارية والإجهاد الحراري

بقلم: د/ سعاد أمداح

سيطرت القبة الحرارية على أجواء بلادنا كباقي أنحاء العالم ،حيث تسبب المرتفع الجوي المسيطر على شمال افريقيا في احتجاز كتل هوائية ساخنة قادمة من الصحراء..

حيث تشكل القبة الحرارية أحد أهم الظواهر الجوية؛ الأكثر تكرارا بالعالم بالسنوات الأخيرة...قد يعد مردها إلى تمركز مرتفع جوي بالطبقات الوسطى و العليا بالغلاف الجوي (علو قدره 3000-7500متر).. بالأحوال العادية؛ و عند انخفاض كثافة الهواء الساخن القريب من سطح الأرض.. يرتفع إلى الأعلى ؛ ليعوض بالهواء البارد..الا أنه بإرتفاع درجات الحرارة،فإن الضغط الشديد من الأعلى يمنع الهواء القريب من سطح الأرض من الإرتفاع إلى الأعلى..فتتزايد بذلك درجات الحرارة..فضلا عن أن منطقة الضغط المرتفع تشكل عازلا مانعا لعبور الهواء البارد..معيقا بذلك تلطيف درجات الحرارة.. إلى جانب منع تشكل السحب و تقليص أثر الرياح البحرية..

و من أهم تداعيات ارتفاع درجات الحرارة؛ ما يعرف بالإجهاد الحراري الذي يتم رصده عند انحصار درجات الحرارة ما بين 41-54 درجة، كما أن اقتران ارتفاع درجات الحرارة بالرطوبة من شأنه أن يرفع مستويات الحرارة. .. و هو ما يطلق عليه بالحرارة المدركة و التي قد تكون أعلى من تلك المسجلة..كل هذا من شأنه أن ينعكس باختلالات صحية كأمراض القلب، تشنج عضلي،عدم ضبط الإنفعالات،اضطراب النوم، تعكر المزاج ،ارتفاع نبض القلب، ضيق بالتنفس، صداع.. كما سجلت بعض السلوكات العدوانية.. و رغم ان الله قد حبانا بما يعرف بالقدرة التكيفية بأجسامنا و هي مدى توفيق الجسم في الاحتفاظ بحرارته الآمنة (36-37 درجة)عبر التعرق كآلية تبريدية.. إلا أن هذه الآلية قد تتعطل لدى كبار السن و الأطفال وأصحاب الأمراض المزمنة.. كما أشارت إلى ذلك الإخصائية النفسية الاكلينيكية :ألبيز و كذا الدكتور كرنغ سرتشوك اللذان أكدا على أن القدرة التكيفية تتطلب جهدا و طاقة كبيرين ..تتباين لدى الأفراد..

و يبدو أن الإجهاد الحراري يمكن له التسبب بحالات فقدان الوعي بل و حتى الوفاة ؛ حيث تدلي بعض الأرقام أنه بسنة 2010 **سجلت11ألف حالة** وفاة بروسيا، و بسنة 2015 سجلت 1118 حالة وفاة بالهند أما بالنسبة لسنة 2022 تم رصد 70 حالة وفاة بأروربا..

و وفقا للدراسات التنبئية يظهر أن هذه الظاهرة الجوية في طريقها إلى مزيد من التأزم و التفاقم؛ حيث وفقا لما أشارت إليه بيانات المحاكاة الحاسوبية وجود إرتباط وثيق بين الإحتباس الحراري الناجم عن تراكم الغازات مثل ثاني أكسيد الكاربون و احتجاز الإرتفاع الحراري بالغلاف الجوي الذي من شأنه ان يحدث خللا مناخيا متوقعا بعام 2100 ..تتضاعف خلاله درجات الحرارة إلى الحد القاتل إثر تجاوزها 3 إلى 10 أضعاف.. بعد أن يكون كوكب الأرض قد استنفذت مقدراته الإقتصادية ...

فهل نحن على أعتاب فناء؛ جراء ضريبة الثورة الصناعية و التكنولوجية... ؟

د/سعاد أمداح

حين يفشل السياسي والإعلامي...

يبحث عن جمهور في الضفة الأخرى

بقلم:بشيرعمري

من حق كل إنسان أن يعلن موقفه، لكن ليس من حق أحد أن يقدم رأيه الشخصي على أنه الحقيقة المطلقة، أو أن يختزل قضية عمرها عقود في جملة من قبيل: "لن أتخلى عن المغرب من أجل البوليساريو"، وكأن الأمر يتعلق بمباراة كرة قدم أو بمفاضلة عاطفية بين بلدين.

المغرب دولة عريقة، والجزائر دولة عريقة، وشعباهما شقيقان، ولا يحتاج أحد إلى شهادة في تاريخهما أو مجدهما. لكن قضية الصحراء الغربية ليست قضية حب للمغرب أو كره له، بل قضية مدرجة في الأمم المتحدة باعتبارها قضية تصفية استعمار، وما زال المجتمع الدولي يعتبرها ملفا لم يحسم نهائيا. لذلك فإن تصويرها وكأنها مجرد نزوة جزائرية هو تبسيط مخل للواقع.

ثم إن الحديث عن أن الجزائر تريد "إقامة وطن سادس" يحمل قدرا كبيرا من السخرية غير المقصودة؛ فالجزائر التي دفعت ملايين الشهداء دفاعا عن حق الشعوب في تقرير مصيرها لم تبدأ هذا الملف، ولم تدرجه هي على أجندة الأمم المتحدة، ولم تخترعه لازعاج أحد.

أما القول الحديثعلي أن تعثر الاتحاد المغاربي سببه الجزائر وحدها، فهو قراءة انتقائية للتاريخ، تتجاهل عقودا من الأزمات والقرارات المتبادلة التي أوصلت المنطقة إلى ما هي عليه.

ومن الطريف أن يدعو البعض إلى احترام التاريخ، ثم يطالب في الوقت نفسه بتجاوز كل القرارات الدولية والقفز مباشرة إلى النتيجة التي يتمناها. فالحقائق لا تتغير بالرغبات، كما أن الشعارات الجميلة لا تحل النزاعات المعقدة.

المغرب الكبير سيظل حلمًا لكل أبنائه، لكنه لن يبنى على مطالبة طرف بالتخلي عن مبادئه، ولا على تحميل طرف واحد كل أسباب الفشل. وسيولد يوم يجلس الجميع إلى طاولة الحوار، لا إلى منصة الاتهامات.

وبالعودة الى صاحب المقال والظرف الذي جاء فيه . فهو يؤكد أنه حين يضيق الحضور السياسي، ويخفت البريق الإعلامي، يصبح البحث عن الجدل وسيلة للعودة إلى الواجهة. وهذا ما يبدو أنه ينطبق على محمد الهاشمي الحامدي، الذي لم ينجح في إقناع التونسيين بمشروعه السياسي، ولم تعد قناته "المستقلة" تملك ذلك التأثير الذي كانت تدّعيه، فاختار أن يثير الضجيج بمقال يغازل الرواية المغربية وليته اكتفى بذلك بل تعدى ذلك ليهاجم الجزائر

للفت الانتباه وتحصيل مايمكن تحصيله عبر الثناء على ملكه الذي رأى فيه مالم يراه أهله وأبناء مملكته

فيتحدث عن "مغرب الإسلام والمجد"، وكأن الإسلام يُختزل في شعار، بينما مر مرور اخجولا على التطبيع الرسمي مع الكيان الصهيوني، وما انجر عنه من تعرض القدس والمسجد الأقصى وغزة من عدوان. اكتفى بعبارة تحفظ عابرة، ثم انتقل بكل حماس إلى مهاجمة الجزائر، وكأن التطبيع مجرد هامش، أما الصحراء الغربية فهي أصل البلاء!

الجزائر لم تجعل من القضية الفلسطينية ورقة للمساومة، ولم تجعل من حق الشعوب في تقرير مصيرها شعارا يرفع هنا ويسقط هناك. أما أن يختزل التطبيع في سطر، وتخصص باقي الأسطر للهجوم على الجزائر، فذلك يكشف بوضوح أين أصبحت البوصلة.

فمن أراد الحديث باسم الإسلام، فليبدأ بالقدس قبل الصحراء، وبفلسطين قبل تصفية الحسابات السياسية، وإلا تحول وصفك ل "مغرب الإسلام" كوصف المتنبي لكافور الأخشيدي أو كمن يمدح الذئب بحراسة القطيع .

بشير عمري

عد إلى بلادك يا بيكو

بقلم : إبراهيم قارعلي

تذكّرني عودة الدكتور سعيد سعدي طبيب الأمراض العقلية ومؤسس حزب التجمع من أجل الثقافة والديمقراطية إلى الجزائر قادما من فرنسا بعد سنوات التيه، بأحد النصوص كنت قد قرأته منذ أكثر من أربعين سنة من كتاب القراءة للسنة الأولى من التعليم المتوسط والذي كان تحت عنوان: العودة إلى الوطن للأديب الجزائري مولود فرعون من رواية الدروب الوعرة!.

أنقل لكم من هذا النص هذه الفقرة التي يقول فيها الروائي مولود فرعون: عندما سمعتُ الناس في فرنسا يقولون لي: "عد إلى بلادك يا بيكو" عندئذ أدركت أن لي وطنا وأنني سأعتبر دائما أجنبيا في غيره من الأوطان، وقد غفلت عن هذه الحقيقة الخفية عشرين سنة، وحينما انتبهت من غفلتي صرت لا أطيق صبرا على بلادي، وشعرت برغبة جامحة في زيارتها، والتمتع بخيراتها، والمشي فوق ترابها واستنشاق هوائها الساخن، والتعرض لأشعة شمسها المحرقة، والسير في دروبها المغبرة والتهام فواكهها اللذيذة!!..

ويضيف مولود فرعون في الفقرة الثانية من هذا السرد الروائي وأختم به القول: وهكذا أخذت القطار إلى مرسيليا، ومنها ركبت على متن الباخرة إلى الجزائر، وكأنني بأهالي مرسيليا يقولون لي في لهجة ساخرة ماكرة: رح إلى بلادك!!!...

إبر اهيم قار علي

الآن في المواقع العربية

كتاب مختصر في ظلال القرآن

حسب النزول

أربعة (4) أجزاء، طبعة رقمية (PDF)

قام بإختصاره و إعداده للنشر العبد الفقير الى الله محمد رباعة، راجيا من الله سبحانه وتعالى، أن يتقبله صدقة جارية و علما ينتفع به، يوم لا ينفع مال و لا بنون، إلا من أتى الله بقلب سليم.

إطلالة على الشعر التونسي

بقلم: سفيان رجب

استفاد الشّعراء التونسيون الجدد من الجهد التنظيري لمن سبقهم من الشّعراء ونقّاد الشعر في حركة الطّليعة، وفي كتابات الثمانينيين، وتمكّنوا من رسم ملامح نصّ شعريّ تونسي له فرادته وأصالته، وإن بدا تأثير التيارات الشعرية - الغربية والمشرقية- واضحا على بعض المحاولات.... نحاول في هذا الملف لفت النّظر إلى بعض الأصوات الشّعرية الجديدة في المشهد الشعري التونسي، ة والذي يحتاج إلى جهد توثيقي أكبر للإحاطة به. لكن ما يميز هذه المختارات الشعرية؛ أن معظم كتّابها من مواليد ثمانيات القرن الماضي، لذلك يمثلون جيلا، ينسج خطّا في التعبير عن ذاته الفردية والجمعية.

المتابع للمشهد الشّعري التونسي الجديد، يلاحظ غياب الحركات الشعرية، باستثناء حركة نصّ التي حاول تأسيسها الشاعر عبد الفتّاح بن حمودة مع مجموعة من الشعراء من بينهم أمامة الزّاير والسيد التوي.. وأصدروا بياناتهم الشّعريّة بعد الثورة التونسية، وحاولوا تنوير المشهد الشعريّ التونسي، لكنهم لم يخرجوا عن الحركات الشعرية العربيّة كجماعة شعر مثلا، وفي عمق المشهد الشعري التونسي بدأت تتوضّح معالم حركة شعرية رائدة تؤسّسها حركة تجريب، من خلال ثلّة من الشعراء الذين جمعتهم مدينة النفيضة السّاحليّة، وهم أيّوب السعيدي وحمزة السّعيدي وسفيان رجب، وتقوم فكرة هذه الجماعة على نسف الأجناس الأدبية، وتفكيك السرديات الكبرى، وتعمل على تأسيس رؤى جديدة في الأدب، لكنّها تحتاج إلى عمل تنظيري بالأساس يوضح هذه الرّؤى التي تظهر بروقها في بعض نصوص الجماعة.

لكن افتقار المشهد الشعري للحركات والجماعات تعوّضه الأصوات الشعريّة الفردية، والتي لا تختلف كثيرا عن بعضها البعض، وتتقاطع في مناطق كثيرة. إنّها تشبه الطيور التي تبني أعشاشا مختلفة لكن بقشّ الحقل نفسه الذي تعيش داخله.

أنور اليزيدي؛ صدرت له مجموعتان شعريتان: مياه مؤجّلة، لا شيء خارج الصّفر.

من شروحات صرخة الحلاج

ولها ما يجعل تلك الرعشة تنبتُ في جسدي،
تلك الرعشة حين تُقبّل قطرةُ ماء سطح الماء
فيهتزّ العمق ويرسم دائرة تلو الأخرى... ثمّ
يعود الحال إلى ما كان عليه: كأنّ القطرة لم
تسقط، وكأنّ الماء بلا عمق، سطح محض مثل
سماء فارغة، مثل الأرض بلا آلهة، مثل فؤاد
خاو، مثل تصالح طفلين، بسيط، دون شروط،
وبلا أثر ينبت فيه العقل. (على ذكر العقل، أداة
الإنسان ليبقى، هو ناب الشر ومخلبه).

أو هكذا يبدو للناظر من خارجه، تلك الرعشة
قد فسّرها الفيزيائي وعلّلها:
«ثقل القطرة غيّر سطح الماء وغيّرها».
وتقول سحابة صيف عابرة: «تلك القطرة قد
سقطت إذ لينها الشوق وأثقلها.»
لا أذكر تحديدا صوت القائل (إذ كان الصوت
بلا رجع، قيل بعفويّة لا شيء لم يقصد أن
يصبح شيئا، قيل هباء، قيل فقط كي لا
يسمع): «تلك القبلة ماء يغرق في ماء، شكلُ
الغرق الدائرةُ الأولى، والأخرى شكل الأبديّة.«
هل تنسى امرأة أوّل من ؟؟؟؟؟؟
قد ينسى الرجل.
القبلة مثل المرأة، لا تَنسى من ؟؟؟؟؟.
المرأة مثل النار إذا اشتعلت قد تحرق من
؟؟؟؟؟؟؟؟
النّار يد الرجل المنسيّ، تُمدّ إلى الوجه إلى
الشّعر إلى الخصر فلا تصل
ترتدّ إليه رمادا ينبشه بيد أخرى، لا يعرفها،
بحثًا عن رائحة في شال حبيبته كانت تسبقها،
عن وقع خطاها صاعدة سلّم منزله، عن باب
تطرقه يدها، أو خصلة شَعرٍ لا يدري إن كان
عليه إذا انسدلت أن يرفعها، وإذا خلْف الأذن
التقت تلك الخصلة، هل كان عليه إذن أن
يسدلها؟
بحثت يده المجهولة عن قبس يمكن أن يوصلها
عن جسد يمكن أن يستيقظ حين يرنّ منبّه،
ينهض، يغسل ما يغسل يأكل ما يأكل يلبس ما
يلبس ... جسدٌ يفعل ما يفعل في العادة، هذا
ما تبحث عنه يدٌ تحت رمادٍ أزرق: شيء يمكن
أن تحمله كي يحملها.
...جنّ الجسد...
صار بلا ظلّ، جسدًا محضًا، يفعل ما يفعله
الظل: يطول ويقصر، يأكل قطعة ضوء، يمشي
ملتصقا بالأرض تمامًا، أو بالجدران، يكون
وحيدا أحيانا، وإذا حاصره الضوء تكاثر،
ينسحب كليًا إن سُلّط ضوءٌ من فوق الرأس
عموديًا.. في العتْمة، حيث يغيب النور، يغيب.
يرنّ منبّهه
يستيقظ...
يبحث عن ضوء يأكله، لا يجدُ
يخرج من منزله الجسدُ
يمشي بين الناس، يحيّيهم، فيردّون تحيّته
لكن
أبدًا
لم يره أحدٌ.

سماح البوسيفي؛ صدرت لها مجموعة شعرية بعنوان: المخطوط
اعترافات شعرية

النص الذي قد أكتبه ؟؟؟؟؟ في ساعات الليل الأخير
هو ذاك الذي يشبهني
نتساقط معا ضريرين في فراش واحد
كأن يجرب خدعته الأخيرة ؟؟؟؟؟
فيقطع يدي ويجر حلقي ولساني للكتابة
في ليلة أخرى قد أنام محاطة بكل أثوابي
لأجعل نصي ذاك بسيقان طويلة
ولأكتب عن الشعر والنثر قصصا عرجاء ينفتح
عليها الصباح نصوصا هيفاء دعجاء ...
أما في ثلثه الأخير سأتعرى أمام أقلامي
وسأسكب من حبر الصباحات والمساءات فوق
جلدي الناعم
وأكتب نصا واحدا يجثو على ركبتيه
إنه فقط نصي..

2
لا تمت قبلي أيها النص
أكتب في هامش من الورقة
موعدا بعيدا لإقامة مأتم
ولنتحدث مطولا
عن البكاء خارج الشتاء
ولنخرجه من الخزانات
للدموع أيضا طعم الورق...
لنقل »هذا نص«
ولننشغل عنه
باللغة ترتب شعرها في شعري
موتا أبيض
دون أن تتلفظ إسمي
واسعا أو عريضا
للكذب أيضا مواقفه
النبيلة

أكتبْ واصفا في النص:
عقدة لسانه الطويلة
ينشغل بالصمت في الكلام
فتتحدث عن فوائد الفراغات
والفواصل والنقاط والنهايات ...
في النص مواقع كثيرة للسجود
كأن يقول قارئ في سرّه: الله ...
فيبكي الحرف الأول عند الحرف الأخير
في الطريق: دم طفيف
جرح في قلب ناقد
أضاع مقاصده في شطر السطر الرابع
فهجر المكان لتدريب أدوات الحلاقة: المشرط والسكين وأدوات الحياكة
تاركا في النص القديم
آثار بكاء طويل..

4

مستعيرا من الموت ربطة عنقه الأنيقة
ماشيا في النص
رافعا قبعتي
سأشعل سجائري كلها
لأدخن الوقت
يوما بيوم
وأطفئ السنوات كلها في رأسي
نصوصا
عرجاء وهيفاء
بلا تقفية
سارقا من الموت فمه الهازئ
لأضحك فوق جثماني
من النهاية
هذا فقط نصي...
النص..

صبري الرّحموني: صدرت له مجموعتان شعريّتان، الرّجل المغناطيس، فونغراف لامرئيّ.

البداية

بطعنةٍ في القلب ولدتُ
حاملاً داخلي بذرة الحزن
منذ البداية،
كبرنا معاً في جسد واحد.
تقول سيدة جلست بجانبي:
«عروقك خضراء»!
أقول
أغصان شجرة نمت داخلي،
كاشفًا عن ساقي:
انظري سيدتي ضربات الفؤوس.

جرح في قربة عسل

عيناي
حفرتان في جدار خرابة
ينام فيها عقلي المريض
شبيهًا بذلك الغزال الذي يحتضر
في قصيدة لوركا.
أنفي
حلزون محطّم الفؤاد
من حب حلزونة بعيدة.
أما جبهتي
فطاولة شيش بيش منصوبة
أين يلعب النحس والأذى كل ليلة
من سيفوز بي غدا؟
ورغم محنتي المرّة
وهواني على الناس
ما زال فمي
كما كان دائمًا
جرحًا غائرًا
في قربة عسل.

مسرحيّة سوداء

أؤدّي دوْرَ الملك المريض
في مسرحية سَوداء.
شعْبي غاضبٌ،
جيْشي بعيد
وزوجَتي دسّت ليَ السمّ في الكأس.
ضوءُ شمعة بجانبي يرتجف.
من صوت الكمان الذي يأتي
من وراء الستّار.
ما يشبهُ الشفق
ينبعث من جهة اليمين
ومَنْ كانوا مَعي صاروا عَليّ.
مطلوبٌ منّي
أنْ أحتَضرَ في افتتاح العرْض،
أن أبَلِّلَ ثَوبي الشَفيفَ بالعَرق
وصِدغَيّ بالدموع.
وأنْ أستَعير حُنجرة الغَزال الذبيح
من أجْل زفْرتي الأخيرة.
ثمّ يدي
تسقط من يَدِ الطبيب.
ورغم أنّ ظهوري.
لا يربو عن دقيقة في المشهد الأول،
تاركًا للأبطالِ ساعتينِ ونصف
كيْ يتفوّقوا عليّ.
إلا أنّنا بعد انتهاء العرْض
واقفينَ أمام التصْفيق جنبا إلى جنب.
حضوري الخفيف
منحني لمعانَ الفضّة
في كومة الفحم.
أترك القليل من الريبة
الكثير من الصمت
وأنظر إليها نظرة يوغرطا المغدور
إلى أذنيه المثقوبتين بالذهب بين شوارع روما الواسعة
أنظر إليها
نظرة صبيّة قرطاجيين إلى آخر بيتٍ يحترق
نظرة قصَب إلى واديه
وواد إلى سيل حطام.
لا تخفّ
إنها لحظتك
وإن كنت تسقط من علو قديم
ستبقى
واقفا إلى الأبد.

أيوب السعيدي: يكتب قصيدة النثر، له ثلاث مخطوطات شعرية.

خزانة ملابس

كلُّ يوم ينتهي، أنزعُ عنْهُ ثيابَهُ بلطف. وقبل أنْ أنامَ عارياً من التعب، ألقي بها في إحدى أدراج الخزانة التي تتوسط رأسي. تاركاً النسيان يقوم بدوره كمجموعة فئران مطيعة، كنتُ قد منعت عنها قطع جبن النوم والأحلام لفترة طويلة، حتى جاعت جيداً.
الآن، وكلّما تحسست رأسي من مكان مّا، أعثر على ثقب فيه.
يا ألله رأسي أصبح مثقوبا من كلّ الأماكن.
كلّما تذكرت النّهر تقفز سمكةٌ من ثقب فيه.
كلّما تذكّرت العصفور تطير زقزقة من ثقب آخر.
كلّما تذكّرت الهواء يخرج من عدّة ثقوب.
كلّما تذكّرت السّماء تتبخّر الزّرقة والغيُوم من ثقب في الأعلى.
كلّما تذكّرت الشّجرة تتساقط الخُضرة والأوراق والجذور من ثقب في الأسفل.
كلّ ما في الأمر أنني أردتُ تذكّر يومٍ عانقتك آخر مرّة. لقد فتحت خزانتي كأحمقٍ عبثت به فئران النّسيان، لأبحث عن قميصِ ذلك اليوم. أذكر أنه كان قميصا وخفيفاً أيضاً. لكنّي وجدته بصعوبة، وحين ارتديته كان ممزّقاً، السماء بلا زرقة أو غيوم، النهر حزين على السّمكة، الهواء يفكّر في الهواء، الشجرة بلا أوراق أو جذور.
حتى العصفور الذي كان يزقزق فوقنا كلّما تعانقنا، أصبح أصمّاً.
ها أنا، بحزن ثقيل، أريد نزع هذا القميص عنّي، لكن دون جدوى.
لا أستطيع النوم مجدداً.
لقد سقط النّسيان من ثقب كبير في رأسي.
تاركًا للأبطالِ ساعتينِ ونصف
كيْ يتفوّقوا عليّ.
إلا أنّنا بعد انتهاء العرْض
واقفينَ أمام التصْفيق جنبا إلى جنب.
حضوري الخفيف
منحني لمعانَ الفضّة
في كومة الفحم.
أترك القليل من الريبة
الكثير من الصمت
وأنظر إليها نظرة يوغرطا المغدور
إلى أذنيه المثقوبتين بالذهب بين شوارع روما الواسعة
أنظر إليها
نظرة صبيّة قرطاجيين إلى آخر بيتٍ يحترق
نظرة قصَب إلى واديه
وواد إلى سيل حطام.
لا تخفّ
إنها لحظتك
وإن كنت تسقط من علو قديم
ستبقى
واقفا إلى الأبد.
أيوب السعيدي: يكتب قصيدة النثر، له ثلاث مخطوطات شعرية
كلّما تعانقنا، أصبح أصمّاً
ها أنا، بحزن ثقيل، أريد نزع هذا القميص عنّي، لكن دون جدوى.
لا أستطيع النوم مجدداً
لقد سقط النّسيان من ثقب كبير في رأسي.

فاطمة كرومة: صدرت لهَا ثلاث مجموعات شعرية: أخطاء فادحة، بلا فرامل تهوي في منحدرٍ، إبتلعها فستانُها.

حضر موتٍ

في "حضر موْت"
أراهن على أنّني براغماتيّة وأفكّرُ بحُبّ
أبحث عن أجنحة فراشات وأعشاش طيور
وأخفي التّفاصيل عن الخيْبة
لكنّهم لنْ يصدّقوا!
أنّني لا أموتُ فيها ولا أحيَا
أنّ حياة قلبي الأخرى والأخيرة
في العَناوين البَعيدة
يمْضي أطراف نهاره
بين الأشجار العملاقة ولِحائها
وينام أثناء ليله
في أعْماق نهر
وغياهب بحيرة
هناك بيْن شعوب كثيرة
بيْن أجراس الكنائس وساعات المَحطّات.
كيف أخبرهم،
ولا يخبو صوتي
مثل صفّارة باخرة تائهة في مُحيط؛
أنّ قلبي سمكة حمراء صغيرة
عالقة في سَماء؟

تبرعم

اليقظة تدبّ في أغصان ناعسة
براعم متدلّية تتناسخ
مثل حكايات كائن ينأى عن آخر
تجتذبه هالته خارج إيوان العالم الضيّق
ما يرنو إليه يستغرق عمرا ليكتمل
بعضه عالق في زمن قادم
بعضه غارق في ماضٍ سحيق.
مسيّرة داخل حلم ما
ليس بالمكان الصّحيح
ليس بالخطأ
تهبّ الرّيح بين جنباته مثل بيت هجرته العناكب
أسلمته للنّهايات المفتوحة
عبثا تبرُق خيوطه بين الأغصان
تحت الشمس
لحظات المطر.

محمد العربي: صدرت له المجموعات التالية: حتى لا يجرحك العطر، القتلة مازالوا هنا، حين كنت تحدّثينني عن الحبّ، يد تلوّح من بعيد.

البيت

كم مرة رسمنا البيت الذي به كنا نحلم
غرفتان للكتابة
غرفة للبكاء
مطبخ للصراخ

لكسر الأواني التي امتلأت بالدموع
حديقة واسعة
لنتمشى في الظهيرة ونمدح خسائر »دونالد هول« الشهية
لنفترض أننا نشيخ معا
كيف نحني رؤوسنا من الأفكار التي تأتينا كل ليلة
ولنفترض
أننا اخترعنا ذلك البيت
ذلك الحب مرة أخرى
أركض نحوك مثل جرح ينزف
تقفين في مكانك مثل صخرة في حياتي
ونجدف لسنين من بركة إلى اخرى.
اليد التي تدفعك الآن بقسوة
كي تتحطّم
كنتَ تُمسك بأصابعها المتعرّقة
محاولا إقناعها
أنّها ليست صخرةً.
أيّتها الغزالة
صباح الخير أيّتها الغزالة
لا تهربي
لست هنا للصيد
انظري
إنني لا أحمل بندقية على كتفي
لا سهام بين أصابعي لأطلقها
ولا يتبعني كلب سوى ظلي
إننا هنا لنقول لك فقط صباح الخير
قبل أن يداهمنا الصيادون.

توفيق مقطوف؛ شاعر تونسي يكتب قصيدة النثر و القصة، نشرت له بعض النصوص والمقالات في مجلات ومواقع عربية.
الحياة تسيء إلى سمعتي

إنها أشبه بلجنة فرز في كاستينج لفلم طويل
أقدم لها نفسي، أقول لها؛
توفيق مقطوف ، ٢٩ سنة، لعبت دور البطولة في فلمين؛
الأول حين ولدت في ليلة كلها ليل.
والثاني عندما قبض على خفر السواحل وأنا أحاول تصحيح خطأ الطبيعة في الجانب الآخر من البحر.
– وشاركت بدور الأبله في مسرحية »الثورة التونسية«
ثم أنني أتمتع بقدرات يمكن إستثمارها في أماكن التصوير
أستطيع القيام بحركات خطرة
كأن أقاتل عصابة في زقاق بسكين خبز
أو أبتلع بكاء الأيتام والمشردين
وأركض به إلى سيرك الضحك
جربيني، لقد قمت بما هو أصعب
لقد حملت رفاقا على كتفي في مسيرات إحتجاج
و ركضت بهم بعيدا عن عصيّ البوليس
لقد ابتلعتُ القنابل المسيلة للدموع
و لم أنطق بكلمة واحدة في مكاتب التحقيق..
ولم أجهش بدمعة واحدة.
أستطيع القيام بكل ذلك
أستطيع لعب دور البطل المخذول
الذي خانه الرفاق والحزب
دون حاجة إلى تأثيرات سينمائية
لطالما خذلني كل الذين حملتهم على كتفي
لطالما باعني الحزب ..
أيتها الحياة لا تتركيني أموت ميتة عادية
مثلما يموت كل أبطالك الثانويين
دهسا أو طعنا أو غرقا
أو بجرعة زائدة من الهيروين ...
أنا لست كمبارس!
أنا سليل ذئب يمقت الملوك والرؤساء
لا تتركيني ألقى حتفي في سيناريو رديء
لا تهينيني أمام أبطالك المزعومين!
لا تسيئي إلى سمعتي في لقطة مذلة
لا تكذبي علي!
أنظر إلى الحياة بشكل آخر»
أقول لنفسي.
أترك شيئا من الليونة
في نظرتك التي تسحبها
كالعلكة من عينيك
أنظر إلى الحياة/ حياتك
نظرة أبي نواس لامرأة تستحم
أترك القليل من الريبة
الكثير من الصمت
وأنظر إليها نظرة يوغرطا المغدور
إلى أذنيه المثقوبتين بالذهب بين شوارع روما الواسعة
أنظر إليها
نظرة صبية قرطاجيين إلى آخر بيتٍ يحترق
نظرة قصّب إلى واديه
وواد إلى سيل حطام.
لا تخفّ
إنها لحظتك
وإن كنت تسقط من علو قديم
ستبقى
واقفا إلى الأبد.
الأخيار لا يفوزون في النهاية مثلما يعتقد كتّابك المبتدئين
الحب؟! ، هو وغد وابن كلب
الحب لا ينتصر إلا في الأحلام والأفلام
الناس هنا لا يحلمون بالحب
ولا يعرفون السنما
هم بالكاد ينهضون من أسرتهم الحقيرة
في أول الفجر
ليعودوا و قد شاهدوا آخر حلقة من فيلم مصاصي الدماء

في المزارع، في المصانع، وفي حظائر البناء!
الناس هنا لا يمثلون لقطات خطرة
الناس هنا، من أول الفجر إلى آخر الليل، يطوفون حول سكين مثل بطيخ ناضج.
أيتها الحياة،
لا تتركيني أُهزَم في نزال سهل مع بطل لم يخض بحياته نزالا مع الفقدان والمرض ونقاط التفتيش والجوع الفصيح.
لا تتركيني أتلقى الصفعات من بطل لم تلمس عظام وجهه يوما لكمات البرد الصارم.
الحياة .. تسيء إلى سمعتي
إنها أشبه بلجنة فرز في كاستينج لفيلم طويل
أقول لها، كاشفا عن صدري وذراعي، ماضيّ ومستقبلي؛
أنظري يا سيدتي الحياة
أنا مطعون من الخلف، من الأمام، من الرفاق، من الحزب، من الخيمة، من الدولة
أقول لها؛ لا تتركيني أموت ميتة عادية .. مثلما يموت مجند أعزل في كمين الوطنية المفخخة.

رضوان العجرودي؛ صدرت له مجموعتان شعريتان: فرح يختفي في المرآة. رأس تطلّ من نافذتين.
شاهد زور

سَيَذْهبُ بي التّاريخُ.
لن يبقى منّي سوى صورة في جَيبٍ داخلي
أو أرشيف البوليس
أو أمّ أولاد، إن تزوّجتُ، تَقولُ لأبْنائها »هَذا والدكُم.«
هُزِمْتُ بضَرَبات قاضية منْ أُناس لا أعْرفهمْ.
خَذلتْني جميلةٌ لَمْ أرَهَا فِي حَياتي.
يَقولونَ عنّي كلاما لَمْ أكُنْه،
حكايات لَمْ أعشْها.
نادَلٌ في مقْهَى شَعبيٍّ يَعرفُ قصّتي المَخفيّة،
شَرِبَ قَهوتَهُ بسُرعةٍ وَ ركِبَ سَيّارَةَ التاريخِ وحدَه.

أفراح الجبالي؛ صدرت لها المجموعات الشعرية التالية: لا بدّ من قوس لنهرها في نيابوليس، ما تأخذينه معك، وأنطولوجيا البيت.
اليوم يَسقُط شِعراً

اليوم يَسقُط شِعراً
شَعرة
شَعرة
وها هي الأشياءُ:
كومةُ السرير
أصلٌ عربي
وجعٌ في الظهر
غبارُ النوافذ
..... وهو
هو الذي غادَرك.
ويوماً ما
يوماً ما
ستقفين
ولبُرهة ستكون هناك كلمة لا تفهمينها
كلمةٌ مثل: "هُنا"
أو "بعْدَ"
ستَقرئينها دون الحاجة إلى نظّارات
ستكونين قد حفظتها عن ظهر القلب
القلبُ أيضا لن يكونَ مُحتاجاً إلى قلبه
ثم لن يَسأل
الخرسُ ما يعلوه على سطح البيوت المجاورة
قرب قفازات الشتاء
وغمّازاتي
بعد سنوات من كومة مَحبّته
والخشب
كل شيء سيكُون في مكانه أخيراً
ستُحاولين قول: "هذا". وسيُفرحك أنّك تفْعلين!
كطفلة تكتشف الكلام معلّقا في الهواء
وعلى طاولة المطبخ البُنّية هذه...
ستفتحين برتقالةً ميّتة
وتَبتسمين
ستَبتسمين:
لأن الموْت لم يكُن بالسُّوء الذي تحدثوا عنه
رطب
ونظيفٌ
مع بعض الحُموضة
وفيه لمعان
كمَنْ يَقف على حافة الطّيران ويَبسط جناحيه
ثُم
يَفعلُ ذلك.

محمد ناصر المولهي؛ صدرت له مجموعتان شعريتان: "مثل كل شيء تنتهي"، و"غرقى جبليون".
طريق جبل الرصاص

سفيان رجب

أنينُ العقل في مواجهة تيار القطيع المطيع

بقلم: ليلى تباني

كثر اللّغط مؤخّرا ، حول القرارات التربوية التي تلغي تدريس مادة الفلسفة من الأقسام النهائية العلمية والرياضية ، وممّا لا يفتح مجالا للجدل أو التشاور حتّى ، أغلق باب النقاش ، على نحو لا ينبغي أن نُناقش فيه عدد ساعات تدريسها ، ولا عدد صفحات تُحذف من الكتاب المدرسي، ولا بمقدار ما تخفّفه من عبء الطالب ، ولا حتّى بنمط الأستاذ الذي توكل إليه مهمة تدريس الفلسفة . بعد مدّ وجزر من أهل الحلّ والربط والمشتغلين في الحقل الفلسفي ، تبيّن أنّ الإشكال لا يقف عند المادة وميل الطلبة لها أو نفورهم منها ، إنّما يتجاوز حدّ الظاهر والمفروض ، إلى أعمق ممّا كنّا نتصوّر . أفضت بنا النقاشات والتأويلات إلى أنّ حذف الفلسفة ليس مجرّد استغناء عن مادّة دراسية هامشية ، إنما هو سؤال عن العقل نفسه ، هل نريد باستبعادنا للفلسفة مدارس تصنع إنسانا يعرف أم إنسانا يفكر؟ هل نريد طالبا يحفظ الإجابة أم عقلا يستطيع أن يسأل عن السؤال؟ هل نريد مواطنا يردّد أم إنسانا يحاجج ويناقش ويعترض ويطلب الدليل؟

لقد جرى التّعامل مع الفلسفة، وعلى مدى عقود ، كما لو أنّها عبء يمكن تخفيفه متى ازدحمت المناهج ، وكأنّ العلوم والرياضيات تحتاج إلى عقل وظيفي فقط، بينما يكفي الأدبيين شيء من الفلسفة في نهاية المرحلة الثانوية. وهنا تبدأ المفارقة الكبرى، فالفلسفة ليست مادة ترفية تُضاف إلى التكوين حين تتسّع المساحة، بل هي تربية للعقل على السؤال والنقد والاستدلال، وهي التي تجعل المعرفة نفسها موضوعا للفحص والمساءلة. ولنكن أكثر صراحة ، الطالب لم يهرب من الفلسفة لأنّها صعبة، ولم يكرهها لأنّها فلسفة، وإنّما هرب، في حالات كثيرة، من الصورة التي قُدمت له بها الفلسفة. لقد حدث ما يشبه الجريمة البيداغوجية الصامتة ، أُخذت مادة وظيفتها الأولى تحرير العقل، ثم جرى تحويلها إلى مادة للحفظ والاستظهار. صار التلميذ يحفظ المقالة، والأستاذ يلقّن المقالة، والدروس تُبنى حول المقالة، والامتحان ينتظر المقالة. يحفظ مقدمة، ويحفظ إشكالية، ويحفظ أقوال الفلاسفة، ويحفظ حججا واعتراضات وخاتمة، ثم يدخل قاعة الامتحان لا ليكتشف موقفه من السؤال، وإنّما ليفتش في ذاكرته عن أي مقال محفوظ يصلح لارتداء السؤال . وهكذا يصبح المشهد مأساويا في دلالته. أستاذ يحفظ، وتلميذ يحفظ، وامتحان ينتظر التفريغ . فأين الفلسفة؟ أين السؤال؟ أين الشك؟ أين المحاججة؟ أين المفهوم؟ أين القدرة على تفكيك الفكرة؟ أين حقّ الطالب في أن يختلف؟ أين حقّه في أن يقول لا أوافق ديكارت، أو أرى أن كانط لم يحسم المسألة، أو أنّ حجة هذا الفيلسوف لا تقنعني؟

إذا كانت الفلسفة قد تحوّلت إلى عملية تفريغ لمقالات محفوظة يوم الامتحان، فليس التلميذ هو الذي فشل في تعلّم الفلسفة، بل نحن الذين فشلنا في تعليمه كيف يتفلسف. ولا ينبغي أن نحمّل الطالب وحده مسؤولية هذا الخراب ، ولا أن نظلم الأستاذ أيضا ، فالمشكلة أعمق من الاثنين .

إن تدريس الفلسفة يحتاج إلى تكوين حقيقي في ديداكتيك الفلسفة ، لأنّ الفلسفة ليست مادة تُلقّن بالطريقة نفسها التي تلقّن بها المعلومة التاريخية أو القاعدة الرياضية. هناك فرق هائل بين أن تعرف الفلسفة وأن تعرف كيف تجعل آخر يفكر فلسفيا. فالأول معرفة، والثاني فن . والفلسفة في المدرسة، قبل أن تكون رصيدا معرفيا، هي فن التفكير النقدي والحجاجي والاستشكالي. فإذا لم يمتلك الأستاذ مفاتيح هذا الفن، يصبح أسيرا للكتاب، وأسيرا للمنهجية، وأسيرا للمقالة النموذجية، ثم يصبح الطالب أسيرا له ، وهكذا يولد القطيع من قاعة الدرس دون أن يشعر أحد .

الفلسفة ليست أن يعرف الطالب أن سقراط قال كذا، وأفلاطون قال كذا، وديكارت قال كذا، ونيتشه قال كذا. هذه معرفة بتاريخ الفكر، وهي مهمة، لكنّها ليست الفلسفة كلّها. الفلسفة في المدرسة ينبغي أن تكون تدريبا على ممارسة العقل ، أن يتعلم الطالب كيف يسأل: لماذا؟ وكيف عرفت؟ وما حجتك؟ وما الافتراض الذي بنيت عليه موقفك؟ وهل هناك تناقض في كلامك؟ وهل يمكن أن يكون نقيض رأيك صحيحا؟ وما الذي يترتّب على موقفك؟ عندها يصبح درس الفلسفة مختبرا للعقل، لا مستودعا لرص المعلومات .

لقد قال سقراط في دفاعه عن الفلسفة :"الحياة غير المفحوصة لا تستحق أن تُعاش " . فماذا فعلنا نحن؟ حوّلنا الفحص إلى حفظ، والسؤال إلى نموذج، والشك إلى إجابة نموذجية. ثم استغربنا أن التلميذ لم يحب الفلسفة. إنّنا حين نقتل السؤال باسم تدريس الفلسفة، لا يحق لنا بعد ذلك أن نحكم على الفلسفة نفسها بأنها فشلت . وإذا كان ثمة خلل في تدريسها ، فالحل ليس قتل المادة . إذا فشلنا في تعليم الرياضيات لا نحذف الرياضيات، وإذا فشلنا في تدريس الفيزياء لا نقول إن الفيزياء لم تعد نافعة . وإذا كان تدريس الفلسفة قد تحوّل إلى حفظ للمقالات، فالحل هو إصلاح طريقة تدريسها وتقويمها وتكوين أساتذتها.

أصلحوا الفلسفة بدل أن تدفنوها، وحرروها من عبودية المقالة النموذجية، وغيروا أساليب التقويم، واجعلوا التلميذ يناقش ويحلل ويقارن ويستنتج ويفنّد ويبني الحجة ويكشف المغالطة. دعوه يخطئ، دعوه يعترض، دعوه يختلف، دعوه يكتشف أنّ التفكير ليس طريقا مستقيما، وأنّ الحقيقة ليست ورقة نموذجية تنتظر أن تُنسخ في قاعة الامتحان .

ثمّ أي وهم هذا الذي يجعلنا نتصور أن العلوم والرياضيات تغنيان عن الفلسفة؟ كأنّ العقل العلمي عقل بلا أسئلة، وكأنّ الفيزياء لا تسأل عن طبيعة الواقع، وكأنّ الرياضيات لا تثير أسئلة الحقيقة والبرهان واليقين، وكأن الطب لا يواجه أسئلة الحياة والموت والكرامة والمسؤولية، وكأن الذكاء الاصطناعي لا يفتح أبوابا هائلة في فلسفة العقل والأخلاق والحرية والمسؤولية . فإذا كان العلم يمنحنا القدرة على أن نعرف كيف يحدث الشيء ، فإنّ الفلسفة تجبرنا على أن نسأل ماذا يعني ذلك ، وما حدوده ، وما قيمته ، وماذا يترتب عليه ، وهل ينبغي أن نفعله لمجرد أنّنا نستطيع فعله. العلم يقول لك يمكن . والفلسفة تسألك هل ينبغي؟ العلم يوسع دائرة الممكن ، والفلسفة تحرس حدود المشروع . العلم يمنح الإنسان القوة ، والفلسفة تسأله كيف لا تتحوّل القوة إلى استبداد. حتّى في زمن الذكاء الاصطناعي تصبح الحاجة إلى الفلسفة أكثر إلحاحا لا أقل . نحن ندخل عصرا تستطيع فيه الآلة أن تكتب وتترجم وتحلل وتبرمج وتنتج الصور وتستخرج الأنماط وتقترح الحلول . فإذا كانت المدرسة تريد أن تنافس الحواسيب في الحفظ والاسترجاع والإنتاج السريع، فقد خسرت المعركة قبل أن تبدأ. الآلة تحفظ أكثر، والآلة أسرع، والآلة تسترجع المعلومات بلا تعب. فما الذي نريد أن يبقى للإنسان؟ الحكم ، والنقد، والتمييز، والمسؤولية، والأخلاق، والشك المنهجي، والقدرة على مساءلة ما يبدو يقينيا. وهذا هو العقل الذي ينبغي أن تصنعه الفلسفة .

إن الذكاء الاصطناعي يستطيع أن يمنحنا إجابة تبدو مقنعة، لكنه لا يعفينا من السؤال عن صدقها، ولا عن مصادرها، ولا عن تحيزاتها، ولا عن نتائجها الأخلاقية. ومنظمة التعاون الاقتصادي والتنمية نفسها تؤكد في حديثها عن إعداد المتعلّمين لعصر الذكاء الاصطناعي ضرورة أن يستطيع المتعلم فهم مخرجات الذكاء الاصطناعي وتقييمها نقديا واستخدامه بصورة أخلاقية ومسؤولة. فكيف نريد إنسانا قادرا على ذلك إذا أضعفنا المادة التي تدرّبه أصلا على النقد والاستدلال؟

إن التقدّم التكنولوجي لم يجعل الدوّل المتقدّمة تدفن الفلسفة ، بل جعلها تعيد اكتشافها بوصفها مدرسة للحرية ودرعا للعقل النقدي. فكلّما اتّسعت سلطة الحواسيب ، ازدادت الحاجة إلى إنسان يسألها لماذا؟ وبأيّ حقّ؟ وإلى أين؟ أما المدرسة التي تضعف السؤال، فلا تنتج عقلا حرّا، بل عقلا قابلا للتلقين ، يسهل أن يقاد . أيّها العقلاء ! الفلسفة لا تنافس العلوم ، لكنّها تمنح العلم ضميره ، وتسأل القوة عن غايتها، والتقنية عن حدودها، والإنسان عن مسؤوليته. لا نريد من الطالب أن يحفظ النظريات الفلسفية ، بل أن يتعلم كيف يفكر ،أن يكون طبيبا يفكّر، ومهندسا يسأل، وعالما يراجع، ومواطنا لا يستدرج ولا يقاد مع القطيع .

يا أهل الحلّ والربط ! إن كان الإصلاح إصلاحا للمناهج وتحريرا للتلميذ من الحشو، فنحن معه ، أمّا أن يكون الثمن إقصاء الفلسفة من التكوين العلمي ، فذلك ليس إصلاحا للعقل بل إفقار له. أصلحوا تدريسها ولا تقتلوها... حرّروها من المقالات المحفوظة، وأعيدوا إليها روحها ... السؤال، والشك، والحجاج، والنقد . تلك هي الفلسفة التي يعوّل عليها في مواجهة سياسة السحب نحو القطيع المطيع .

ليلى تباني

الرواية التونسية بعد الثورة

قراءة في الفضاء الهامشيّ

بقلم:وفيقة المصري

كانت الفترة اللاحقة لثورة 14 يناير في تونس بداية صعود أعمال روائيّة جديدة، أهمّ ما يميّزها تناقضها شكلًا ومضمونًا مع أنماط الكتابة السّلطوية السائدة.[1] إذ لطالما لجأت الأعمال الروائيّة السياسيّة إلى الالتفاف على السّلطة بأساليب فنّية موارِبة، أو تجنّبت التطرّق إلى السياسة كليًّا، حتّى تبدو على وفاق مصطنع مع أنظمة الرّقابة القمعيّة. لكنّ محاولات تحرير الرواية التونسية من القبضة السياسيّة المستبدّة ظاهرة أدبية تستدعي الدّراسة والنّقد، بصرف النّظر عن كياسة تلك الأعمال الروائيّة الجديدة أو رداءتها الفنّية، لأنّ ظهورها بحدّ ذاته مؤشّر جادّ على الاستفادة من حقّ حريّة التّعبير، وتنوّع أساليب الاستجابة الفكريّة والفنّية لواقع ما بعد الثورة التونسيّة.

في دراسة بعنوان »اتّجاهات جديدة في الرواية التونسيّة«، يناقش الكاتب التونسي عامر بوعزة »الطّفرة الكمّية الهائلة »التي شهدها قطاع النشر بعد سقوط نظام بن علي، لاسيّما الكتب التي استجابت إلى أحداث الثورة ونتائجها. أمّا على الصّعيد الروائي، فينتقد عزّة الأعمال الروائيّة التي أنجزها معتقلون سياسيّون سابقون أو نشطاء في أحزاب معارضة، لتتباهى دور النّشر لاحقًا بتسويقها تحت مسمّى »رواية سياسيّة «أو »أدب السّجون«، رغم افتقارها للعناصر الفنّية، وانخراطها المباشر في الحقل السياسيّ.[2]

تختلف الآراء حول العناصر الأساسيّة التي تشكّل ما يُعرف بـ»الرّواية السياسيّة«، إذ يرى البعض أنّها تتمحور حول قضايا سياسيّة معيّنة، تتحرّك الشخصيّات في حيّزها السّرديّ تعبيرًا عن الآراء السياسيّة المؤيّدة أو المعارضة، تصريحًا أو تلميحًا، مع الالتزام بالعناصر الأدبية والفنّية، حتى لا تتحوّل الرواية إلى منشور سياسي. من جهة أخرى، يرفض البعض حصر المواضيع التي يمكن أن تتطرّق لها الرواية السياسيّة بالحروب والسّجون وأحزاب المعارضة، ولذا يمكن للرواية أن تناقش قضايا اجتماعية متعدّدة في خلفية الأحداث السياسيّة الرّاهنة، دون أن يؤثّر ذلك على العناصر الفنّية والتقنيات السّردية.[3] كما أشار بعض النّقاد إلى الفرق بين »الرواية السياسيّة «و»التّخييل السياسي«؛ بحيث تكون السّابقة معنيّة بالقضايا الرّاهنة، فيما تستمدّ اللاحقة أفكارها من التاريخ والتراث الشعبيّ، باستخدام أساليب فنّية مبتكرة؛ كالرمز والمحاكاة السّاخرة والتّناص والمفارقة وغيرها، بالإضافة إلى التّمتيع والتّشويق كعنصرين أساسيين في روايات التخييل السياسيّ.[4]

فيما يظلّ الجدل قائمًا حول أهمية استقلال أدوات الأدب عن أدوات السياسة، وضرورة الامتناع عن تَسييس الرّؤية بشكل مباشر، تذهب بعض المدارس النّقدية الحداثيّة المتأثّرة بالماركسيّة والفرويدية والنّسويّة، إلى أنّ الأدب مسيس أصلًا وإن لم يتطرّق بشكل صريح للمواضيع السياسيّة، لأنّ »اللاّوعي السياسيّ« [5] حاضر في مرحلة الكتابة، كما في مرحلتي القراءة والتّأويل.

وهناك من يُجمع -قبل أيّ رأي آخر- على أنّ تحرّر الأدب من قبضة السّلطة السياسيّة ضروريّ حتّى يتسنّى له -كغيره من أشكال حريّة التعبير- أن يبثّ تأثيره في ثقافة المجتمع.[6] حينئذ، يضحي الحديث عن خَوض الأدب غمار السياسة من عدمه منوطًا بإرادة الكاتبة أو الكاتب فحسب، لا خوفًا من أجهزة السّلطة القمعيّة، ومنظومة الرّقابة والعقاب.

بالعودة إلى التّجربة الروائيّة التونسيّة، لا غرو أنّ بعض الرّوايات المثيرة للجدل لم تستطع شقّ طريقها إلى عالم النّشر في تونس إلّا بعد الثّورة، مثل رواية »حارة السّفهاء «الصادرة عام 2013، للكاتب والمترجم التونسيّ علي مصباح، والتي بقيت حبيسة الأدراج لعشر سنوات، دون أن يُقدم على نشرها.[7] تقدّم الرواية تأريخًا لنظام الحكم السياسي الحديث في تونس، وتحديدًا فترة انقلاب الرئيس التونسيّ السابق بن علي على رئيس الجمهوريّة التونسيّة الأول الحبيب بورقيبة.

بأسلوب حاذق وساخر، يوثّق مصباح مراحلَ ولادة وموت الزّعيم الديكتاتوريّ المتكرّرة، ويفضح من خلالها الشّعب متورّطًا في السّفاهة عينها مرّة تلو الأخرى؛ شاهدًا وداعمًا لانتقال الديكتاتور من هامش الدّولة إلى سدّة الحكم. وسرعان ما يحطّم الديكتاتور آمال الشعب، بعد أن صدّقوا أنّ همومه وهمومهم واحدة؛ أنّه واحد منهم ومثلهم جميعًا: »من التّحت تسلّلت، انسربت وتحزّنت فطلعت

وارتفعت وارتقيت، فوصلت ولم تقدروا! لستُ مثلكم، ولا أنا منكم. غادرتكم. مسحت يديّ وعرضي منكم. انتهيت منكم وسأنهيكم إن شاء الله!.«[8]

يحضر الفضاء الهامشيّ بقوّة في المشهد الروائي التونسي بعد الثّورة؛ فالهامش الذي ينبثق منه الزّعيم الديكتاتوريّ، بل ويصعد على ظهره وصولًا إلى السّلطة، هو الهامش ذاته الذي يُشعل الثّورة على الأنظمة الديكتاتوريّة. ومن الهامش ذاته، تخرج أصوات تونسيّة جديدة إلى ساحة الأدب الروائي لتكتب الهامش الذي ظلّ يتّسع حتى طال المركز، وأثّر في قراراته وتوجّهاته.

تتنوّع القضايا التي ناقشتها الرواية التونسيّة من منظور هامشي. مثلًا، كتب البعض عن قضية انجراف الشّباب إلى التّنظيمات الإرهابية المتطرّفة، كما في رواية »غلالات بين أنامل غليظة«، الصادرة عام 2014، حيث عالجت الكاتبة التونسيّة عفيفة سعودي السّمّيطي قضيّة العنف والإرهاب من موقع النّساء الهامشيّ، لا من منظور الرجال باعتبارهم المعنيّين الوحيدين بهذه القضيّة. وتصدّرت قضايا الأحياء التونسيّة الشعبيّة الفقيرة والمهمّشة متنَ الأعمال الروائيّة، كقضايا إدمان المخدّرات، والحرقة«،[9] أي الهجرة غير الشرعية »بقوارب الموت«، والبطالة، والانتحار، والاغتصاب، وعوالم الفساد السياسيّ، كما في رواية »المصبّ«، الصادرة عام 2016 للكاتبة التونسية شادية القاسمي، ورواية »كوابيس الجنّة«، الصادرة عام 2020 للكاتب التّونسي فؤاد خليفة شابير.

كتب بعض الرّوائيّين والرّوائيّات من الجيل الشابّ عن الثّورة أيضًا، وأخذت قضاياها تتداخل مع همومهم الشخصيّة وعُقدهم النّفسيّة، وتتقاطع مع مشاكلهم العائليّة، وتقتحم أضيق دوائرهم الاجتماعيّة، فشقّت طريقها إلى كتاباتهم بوعي منهم أو دون وعي. لم يكتب هؤلاء »الرواية السياسيّة «مثلما كتبتها النّخبة المُثقّفة من الجيل السياسيّ المخضرم، بل كتبوا عن فوضى الثّورة الخلّاقة من موقع الهامش، بأصوات مغايرة وجريئة ومتعثّرة. سنستعرض في هذا المقال ثلاث روايات تونسيّة، ممّا كتب الجيل التونسي الشابّ بعد الثّورة، لأطرح من خلالها الأسئلة التالية: ما هي التوجّهات السّردية والأساليب الفنّية التي وظّفتها الروايات الجديدة؟ وكيف يحتلّ المُهمّشون والمُهمّشات فضاء المدينة؟ وكيف يكتب الهامشُ المتنَ الروائي؟ وكيف ينعكس »اللاوعي السياسي «في كلام الشخصيات وأفعالها؟ وإلى أيّ حدّ ترتبط الأحداث السياسيّة بالمصائر الشخصيّة؟ واليوم، والأصوات تتعالى في الشّارع التونسيّ خشية العودة إلى خَنق الكلمة الحرّة، كيف تَرجم الجيل الشابّ الحريّة في الرواية التونسيّة؟ قبل الثورة

لعلّ ما يميّز رواية »منزل بورقيبة «الصادرة عام 2018، للكاتبة والشّاعرة والمترجمة التونسيّة إيناس العبّاسي، هو قدرتها على احترام التّنوّع الذي تتمتّع به الشخصيّات النسائيّة في الرواية، واحتواء تناقضاتها، برؤى نسويّة ثاقبة، ولغة سرديّة رزينة ومُتقنة، دون أن تبذل الكاتبة جهدًا في إخفاء شاعريّتها.

بين العمق والسّذاجة، التمرّد والاستكانة، القوّة والهشاشة، الطّيبة والخبث، الاستسلام للواقع والرغبة في التغيير والاستقلال، وبين التمسّك بالروابط العائليّة والهجرة والتّخلي عن كلّ من وما يعيق التقدّم والتحرّر؛ تحيك الكاتبة سرديّة ناضجة وملمّة بمراحل ثورة النساء التونسيّات، انطلاقًا من جيل الجدّات في فترة ما بعد الاستقلال مرورًا بجيل الأمهات في فترة الثمانينيّات والتسعينيّات، ووصولًا إلى جيل النساء الشّابات بالتزامن مع أحداث ثورة 14 يناير. يأتي ذلك مُغلّفًا في حبكة روائية بسيطة تتلخّص في الصّراع القائم بين الشخصيتين »جيهان «وزوجة أبيها »صوفيا «على منزل العائلة؛ الإرث الذي خلّفه الأب بعد سنوات طويلة من الهجران والغياب.الرواية -كما يمكن أن يُخمّن البعض من عنوانها- ليست عن الزعيم الحبيب بورقيبة؛ إذ تزيل الصفحات الأولى ذلك

اللّبس بعد أن تأخذنا مباشرةً إلى مدينة »منزل بورقيبة«، الواقعة في ولاية بنزرت شمال تونس، حيث تعود الشخصية الرئيسة جيهان من العاصمة تونس إليها لحضور جنازة أبيها. لكنّ الإشارات الدالّة إلى الزعيم بورقيبة وغيرها من الأحداث السياسيّة السابقة والرّاهنة لا تغيب عن الرواية تمامًا، بل تنسج الكاتبة خيوطها ببراعة، لتتداخل مع المتن الحكائيّ وهوامشه بأسلوب فنّي مُقتصد، لا حشو فيه ولا إقحام.

نلاحظ من الصفحات الأولى للرواية أنّ الكاتبة لا تُهمّش الجانب السياسي على حساب الشخصيّ، حتى وإن بدت الشخصيّات منهمكة في التفكير بشؤونها العائلية، فالأحداث السياسيّة دائمًا ما تجد طريقها إلى السّرد بوعي من الشخصيّات أو دون وعي منها. مثلًا، يمثّل خبر وفاة والد جيهان الحدث الرئيسي الذي ترى الشخصيّة من خلاله ما يحدث من تغييرات في المدينة، إذ تصف انصراف الناس إلى أشغالهم صباحًا دون أن يلتفتوا إلى اختفاء السّاعة من فوق النّصب الإسمنتي التذكاري لتحوّل السابع من نوفمبر: »لا أحد من المبكّرين صبيحة موت أبي، انتبه لغياب الساعة.«[10]

تضيف الكاتبة ملاحظة في هامش الصفحة توضّح من خلالها أنّ النّصب الإسمنتي تابع لحركة انقلاب الرئيس بن علي على الرئيس بورقيبة في السابع من تشرين الثاني عام 1987. ليس انتباه جيهان إلى اختفاء السّاعة صباح أحد أيام كانون الأول الباردة الموافق لوفاة والدها محض مصادفة، بل يأتي متزامنًا مع توتّر الأوضاع السياسية وإعلان حالة الطوارئ في تونس عام 2010:

«ما لاح في البداية كردّة فعل غاضبة ورعناء أنتج حركة أكبر خلخلت نظام الأشياء. وإعلان حالة الطوارئ القُصوى في البلاد اعتراف صريح بأنّ الأمور لن تعود كما كانت. استرجعت المشاهد التي نقلتها القناة الوطنية في نشرة استثنائية زار فيها رئيس البلاد الشّاب الذي أحرق نفسه. شاهدت مثل جميع التونسيّين الجسد اليافع ملفوفًا بأكمله مثل مومياء ناصعة البياض وبالكاد استطعتُ تمييز ثقبين أسودين احتلّا مكان العينين. تساءلت إن كان الشاب قادرًا على الاستماع إلى وعود الرئيس. كان مشهدًا سرياليًا، الجسد المستسلم على السرير والمكلّل بالبياض قبالة جسد رئيسنا الواقف باعتداد والمتمتّع بصحّة جيّدة والمكلّل ببدلة رسمية داكنة السواد.«[11]

احترق الجسد، اختفت السّاعة، توقّف النّظام، ماتَ الأب/ الزّوج، وهرب رئيس البلاد. كل هذه الأحداث تتراكم وتتداخل لتنذر بأنّ الأمور لن تعود إلى ما كانت عليه. وبعيدًا عن أحداث الثورة في مركز العاصمة تونس، تنقل لنا الرواية أحداث الثورة في مدينة صغيرة شمال تونس، ومشاهد الفوضى وتجمّعات الشباب وإشعال النار في الأحياء القريبة من منزل عمّة جيهان و منزل زوجة أبيها صوفيا.

يتّخذ السرد منحى ثوريًا داخليًا حينما تأخذ ذكريات الماضي بالتّداعي. تسرد صوفيا حكاية تمرّدها وهجرتها واستقلالها وخيباتها المتكرّرة بسبب إهمال والد جيهان، بينما تشرع جيهان في سرد حكايات نساء العائلة المُهمّشات والمتمرّدات، جدّتها وعمّتها وأمّها، واقتفاء أثر عمّها المهاجر والمفقود في أمريكا، وسبر أغوار علاقتها مع والدها الذي تخلّى عنها في حياته قبل مماته.

بعد رحلة التحرّر من عبء الأب الغائب، تقرّر جيهان التّخلي عن إرثه (المنزل). وعبر الطريق السريع الذي عادت منه إلى مدينتها، تولّي ظهرها للماضي لتعود في النهاية إلى العاصمة تونس. غير أنّها لم تعد كما جاءت هذه المرة؛ كانت رحلة العودة بمثابة ثورة صغيرة على ذاتها وعلى ماضيها وتفكّك عائلتها، بالتّوازي مع أحداث الثورة الكبرى المشتعلة في البلاد:

«كان الطريق السريع نحو العاصمة خاليًا (..) قدت سيّارتي وحدي معزولة عن العالم والبشر. كان الخوف يدفعني للإسراع (..) كنت متلهّفة للعودة إلى الحياة التي أسستها بعيدًا عن جذوري الأولى (..) أخيرًا تحرّرت وفهمت أنّني بذرة قُذفت في تراب هذا العالم وعليّ أن أواصل شقّ طريقي وحدي نحو السماء.«[12]

تفتح الحريّة ذراعيها لجيهان أخيرًا، أليست هذه نهاية رديّة؟ لولا الأخبار التي تستمع إليها عبر الإذاعة في طريق عودتها: خبر إحراق قبر المفكّر التونسي الطاهر الحدّاد،[13] وخبر إحراق أب لابنته بعد أن رآها تمشي مع زميلها في الشارع، وخبر شاب أحرق قدمي أمّه وأبيه لأنه حاول إيقاظهما لصلاة الفجر أكثر من مرّة دون أن يستجيبا له. تأتي قصص الحرق كلّها مجتمعة في نهاية الرواية تحذيرًا من رمسنة الثّورة والحريّة، وتذكيرًا بشرارة النّار الأولى التي أشعلت الثورة في جسد البلاد. إذا كانت نار البوعزيزي التي أحرقته هي نار الفقر والذلّ، فضحايا القصص

الأخرى يحترقون بنار التّهميش والتّضليل والتّرهيب.

هذه رواية عن ثورة الذّات على ذاتها أيضًا، والوعي بضرورة التحرّر من الداخل، قبل الثّورة على النظام.

ليلة الثّورة

ما الذي حدث ليلة 14 يناير عام 2011؟ يعود الكاتب والشاعر التونسي أمين الغزي[14] في رواية »زنداليّ« الصّادرة عام 2020، ليسرد ما حدث تلك الليلة عبر أصوات مجموعة من المُهمّشين، في شوارع أحياء مدينة سوسة الساحليّة شرق تونس.

.«أثرنا صخبًا كبيرًا برقصنا وغنائنا. كنا قرابة الستة عشر شابًا بين فتى وفتاة، إضافة إلى أربعة طلبة أجانب، جاؤوا ليعيشوا »أجواء الثورة .«بيتنا تحوّل إلى محطة للكثير من الطلبة والناشطين اليساريين الأجانب الذين تدفّقوا على بلدنا في الأشهر الأولى التي تلت ثورة 14 جانفي. كان الأمر وكأن البلد يحتضن ألعابًا أولمبية، أو شيئًا أعظم: إنها ثورة، ثورة. لاحظت أننا صرنا نسكر كل يوم تقريبًا، وكنت أتساءل عن مدى قدرتنا على المحافظة على هذا الإيقاع الفرح. الناس في الشارع كانوا كذلك سعداء وفخورين. كنت تميّز ذلك على الوجوه بيسر، خاصة في الفترة الأولى التي تلت هروب الديكتاتور. السياسة كانت معطّلة؛ لم تكن هناك شرعيّة لأحد. لم تعد هناك شرطة. المظاهرات والاعتصامات في كل مكان. بعض الطرقات كانت مقطوعة. أكوام الزبالة في الشارع بلغت أحجامًا لا يمكن تخيّلها. ورغم أنّ البلد كان في حالة من الفوضى العارمة، فإنه لم يكن أروع من تلك الأيام.«[31]

أضحى هامش المدينة متنًا، فكل ما كان مزويًا متواريًا خرج إلى السطح، وأمست اللاشرعيّة والفوضى مركزًا ونظامًا بديلًا للبلاد. يمجّد يحمل عنوان الرواية دلالات ثوريّة ترتبط بثقافة الشّارع والفئات الشعبيّة على وجه الخصوص؛ فالزّنداليّ هو »أحد فروع موسيقى المزود الشعبية في تونس. الاسم مشتقّ من لفظ »زنداله «وهو سجن في ضاحية »باردو «في تونس العاصمة. جاء الاسم من تبعات التأثير العثماني على البلاد التونسية إثر حكم البايات،[15] فكلمة زندان التركية تعني السّجن.«[16] هذه الموسيقى التي خرجت من ظلام السجون التونسيّة، والتي ظلّت ممنوعة حتى تسعينيات القرن الماضي، تحوّلت كأنواع موسيقى المزود[17] الشعبية الأخرى، إلى رقصة شوارعية تشطحها[18] الفئات الشعبية بأجواء احتفاليّة لا تخلو من السُكر والعربدة والتّسيب أيضًا.[19]

على إيقاع الزّنداليّ، يكتب الغزّي سرديّة شعبيّة شذريّة لليلة »تاريخيّة«، يراوح فيها بين الفصيحة البسيطة (صوت الرّاوي العليم)، والدّارجة التونسية التي يستعملها في الحوار بين الشخصيّات، وكأنّ أصواتها زحفت من الشّارع إلى صفحات الرواية مباشرة؛ بالتلقائية والبساطة ذاتها دون »فَلترة .« وبصرف النظر عن بعض التشبيهات المكرورة، والاستعارات المُقحمة في السرد على لسان الراوي، يبرع الكاتب في تصوير الشّارع التونسي ليلة الثورة؛ كرنفالًا شعبيًا يضجّ بالبهجة والهتاف والرقص والغناء والصّراخ والعنف والفوضى، وعمليّات السّطو على المتاجر والبيوت ومحاولات إيقافها:

«وقفت المجموعات الشعبيّة للرقص على أنقاض نظام يلفظ أنفاسه الأخيرة، ولحماية أحياء هاجمها الخوف من المجهول بكل الوسائل: بالحجارة، الهراوات، الخناجر، الحناجر، الأغاني، الهواتف، العدد، الوطنيّة (..).«[20]

هذه ثورة الرجال المدفوعين بحمق وحماسة نحو الحريّة المزعومة إذًا؛ الباندي، والبوهالي والزّوالي، والزوفري[21] وغيرهم من الفئات الشعبيّة الفقيرة. جميعها شخصيّات متناسخة في شقائها وبؤسها كأنّها شخصية واحدة، لولا أنّ الكاتب قسّمها وأعطاها ألقابًا ساخرة، مثل شخصيّة البكما وديبلوسكي ومسيا الدو وغيرهم.

هذه ثورة الشّباب؛ حقيقة يدركها «نوفل»: «الوضع بائس تمامًا يا بابا، والعمر يمرّ بسرعة ليرفس، دون رحمة، أحلام جيل كامل».[22] فيما ينكرها الوالد ويلوم تقاعس الشباب وتواكلهم، لأنّ »البلاد لاباس«[23] في رأيه، ويدعو ابنه ألّا يقارن نفسه بأبناء المناطق الدّاخلية،[24] لأنه يعيش في مدينة ساحليّة، سياحيّة، وفرص العمل فيها مُتاحة.

هذه ثورة كل البلاد، لأنّ »كلّ البلاد ملعونة « كما يرى »رحمان«، وخاصة أولئك الفقراء من أبناء الدّواخل.[25] ويحقد طبقيّ واع يسرد أحداث قمع النظام للثوّار في إحدى اللّيالي، وعبثيّة موت الشباب في الأحياء الفقيرة باسم الثورة؛ الثّورة ذاتها التي يتفاخر الأغنياء والمثقّفون بنتائجها بعد ذلك:

»تالة[26] التي جئت منها صغيرًا ابنة الملاعين. لما سمعت بأحداث القتل هناك (..) ترددت داخلي الرصاصات التي أطلقت في أحياء أحفظها كخطوط يدي. كانت ستصيبني لو بقيت هناك. ثم ماذا؟ لا شيء،

شارع باسمي، ومفترق تتوسّطه عجلة أو سنبلة من رخام رخيص (..) من أجل ماذا؟ من أجل من؟ من أجل عيون قرطاج،[27] وسكّانها المترفين؟ بصقت عليهم واحدًا واحدًا«

هذه ثورة المُهمّشين إذًا، باستثناء صوت هامشيّ واحد ضيّعه الغزّي بين أصوات الرّجال الهادرة وفي أجواء الرقص الشوارعيّ الصّاخب، ثمّ عاد فأقحمه كيفما اتّفق: صوت »لبنى «الشابّة القوية التي تشتم رجال الأمن، و»حياة «زوجة الشرطيّ السّاذجة التي تحاول انقاذ زوجها من الثوّار بمسدّس لا تعرف استعماله، والعروس المتطلّبة »زوجة البانديّ « الذي يهرب من الدّار بسببها، مسقطًا همومه الشخصيّة على الواقع السياسي للبلاد: »أكيد بن علي ذاته كان تحت ضغط زوجته وأصهاره (..) الثورة، ألم تتسبّب فيها امرأة لمّا صفعت محمد بوعزيزي؟ .«[29]

عبر فضاء زاخر بأصوات رجوليّة، تتحرّك في اتّجاهات مضادّة، تتصادم وتتداخل، بلا قيم أخلاقية محدّدة ودون إطار مرجعيّ واضح سوى الهامش الذي انبثقت منه، ينشىء الكاتب سرديّة شذريّة لأحداث ليلة 14 يناير، تقودها مجموعة ذات قيم وطنيّة، تؤمن بالعدالة والحريّة بشيء من الحمق والسّذاجة، ومجموعة هائمة على وجهها، مشتّتة بلا هدف واضح، وأخرى تتحرّك تبعًا للمصالح الشخصيّة، مأخوذة بالفوضى وشرّ القطيع.

هكذا يحتفي الغزّي بازدواجية قيم الثورة، وتناقض توجّهاتها، بشخصيّات كاريكاتوريّة هزليّة، يصير الضحك والسخرية فيها قناعًا كرنفاليًا من أقنعة باختين، يُخفي وراءه خوف الشّعب المسكين من غموض المصير.

بعد مرور عقد على الثورة، يعود الغزّي إلى تلك الليلة ليكتب الثورة التونسيّة تمامًا كما قيل عنها؛ بلا رأس واحد و بلا زعيم محدّد، ثورة الديمقراطيّة »الديغاجيّة«[30] كما يحلو لمسيو الدو، شخصية أستاذ التاريخ والجغرافيا في الرواية، أن يسمّيها.

بعد الثّورة

ماذا بعد انطفاء الثّورة في جسد الشّعب، وتلاشي بريق الحريّة من العينين؟ يختار الكاتب والأخصّائي النفسيّ التونسيّ أيمن الدبوسي في روايته الأولى »انتصاب أسود«، الصادرة عام 2016، طريقة أخرى للإجابة على ذلك السؤال، تتلخّص بالعبارة التي يفتتح بها الرواية »:ما من انتصاب إلّا ويعقبه ارتخاء.«

تُمهّد عتبات النص للخطاب الإباحي الذي يبني الكاتب الرواية على أساسه؛ فالرواية لا تتعاطى مع الجنس باعتباره تابوهًا مجتمعيًا على الإطلاق، ولا يوظّفه الكاتب كمشاهد واقعيّة أو إيروسيّة تستدعيها الحبكة الروائية فحسب، وإنّما يحوّلها إلى بؤرة سرديّة، يُبيح عبرها للشخصيّات أن تندفع بقوّة الشهوة الجنسيّة وتهمد في غيابها.

تتألف الرواية من عدّة قصص قائمة بحدّ ذاتها لولا الصوت السرديّ الذي يجمع بينها؛ وهو صوت شاب تونسيّ يحمل اسم الكاتب نفسه: أيمن الدبوسي، »النّفساني «الذي يعمل في مستشفى الرّازي، ممّا يدخلها في حيّز السيرة الروائيّة كذلك. وعلى ما يبدو أنّ الكاتب مصمّم منذ البداية على كشف المخبوء، وفضح المستور؛ فهو لا يرضى أن يكون كاتبًا مختبئًا وراء شخصية تحمل اسمًا مزيّفًا، كما لا يتوانى عن اقتحام الفضاءات الهامشيّة التي تعبّر عن كل ما هو مرضي، معيب، ومخجل في نظر المجتمع

ينخرط »أيمن «في الأشهر الأولى بعد الثورة مع شخصياته في أجواء احتفالية بوهيمية صاخبة، ولا يغفل عن المباهاة حدّ النرجسية بالشباب الذين أسقطوا الديكتاتور، ونالوا حريّتهم بأيديهم، فاستحقّوا أيّما استحقاق أن يقولوا ما يحلو لهم، ويفعلوا ما تمليه عليه رغباتهم، متحررين من السّلطة السياسية والمجتمعية والأخلاقيّة على حدّ سواء:الدبوسي هنا كل ما هو مخبوء؛ المزابل والقيء والجنس، ويترك الشخصيّات على سجيّتها، تتلذذ بشهواتها في جو من الحرية المزعومة، بلا أي شعور بالمسؤولية، ودون أن تفقد إحساسها بالعظمة والفخر في الوقت ذاته، فالثورة فرصة منقطعة النظير لإعلاء القيم الوطنيّة وحتى القوميّة العربيّة، لاسيّما أمام النشطاء الأوروبيين الذين لا يترك أيمن فرصة للسخرية منهم كلّما أقحموا أنفسهم في مشهد الثورة.

لكن، سرعان ما يقوّض الكاتب سردية الفرح تلك في النصف الآخر من الرواية، لينهار الوحش الجنسيّ الهائج داخل شخصية أيمن، ويتركه غارقًا في إحباطه وعجزه. يأتي ذلك كلّه بالتزامن مع الأزمة السياسية التي دخلت فيها تونس بعد الثورة عام 2013، واغتيال عدد من السياسيين مثل شكري بلعيد:[32]

»كنّا دائمًا متخلفين بخطوة عمّا يجب أن ندرك ونفعل. ها إن الثورة التي لطالما قالوا عنها إنها »بلا رأس «تكتشف أن »بلعيد «كان رأسها وروحها الجسور، وقد خرج يشيّعه إلى مرقده مليون شخص أو يزيد، لم يكونوا يعرفون بأنهم فقدوا ذلك اليوم رأس ثورتهم.«[33]

في غياب المثل الأعلى، والشّعور بالعجز عن إنقاذ الثورة، لا ينفكّ »أيمن «يغذّي حلمه

الأمريكي بالحرية، حيث تحتلّ أمريكا الجزء الأكبر من الرواية، ولا يبدو عازمًا على الهجرة إليها بقدر ما تستولي عليه فكرة العثور على أمريكا؛ التصوّر الأقرب لديه عن العظمة والحريّة. وعليه، يخصّص الكاتب النصف الآخر من الرواية للرسائل التي يتبادلها أيمن مع حبيبته «علياء» المهاجرة إلى أمريكا. تكشف هذه الرسائل عن مواضع الضعف والهشاشة عنده، بحيث لا يعود مستأثرًا بالصوت السرديّ وحده، بل يفسح المجال أمام صوت علياء القويّة، الواثقة التي تعرف طريقها جيدًا، فتقنعه بضرورة الهجرة إنقاذًا لثورة الشباب:

«لقد قالت لي تلك الليلة كلامًا عظيمًا هزّني. قالت لي إنّ أعظم ما قدّمته الثورة للتونسيين، هي أنّها أتاحت الفرصة أمام ثلاثين ألف مُهمّش لاجتياز الحدود خلسةً، والعبور نحو أوروبا في الأسابيع الأولى التي تلت سقوط النظام. قالت لي إن هؤلاء المُفلتين -على من مات منهم قبل بلوغ الضفة الأخرى من المتوسّط- هم من فهموا الثورة الفهم الحقيقي (..) تعلّموا أن يفرّوا ولا ينتظروا شيئًا من أحد. إنهم يفرّون من الفقر، يفرّون من سوء الرعاية الصحيّة، يفرّون من الاحتقار، يفرّون من القمع والشرطة، يفرّون من أنفسهم (..) وها هم اليوم يفرّون من الثورة، قبل أن تكشر عن أنيابها وتحاصرهم وتفترسهم.«[34]

يكثّف الدبوسي ببراعة هنا ثنائيّة الثورة التونسيّة والهجرة، فبدل أن تكون الثورة أملًا للمُهمّشين، صارت بابًا لرحيلهم. كلّ ذلك يتناقض تمامًا مع رَمْسنة صورة الثورة كما رسمها الإعلام في العالم العربي والغربي عن تونس، إذ إنّ كثيرًا من الشباب لم يؤمنوا بقدرة الثّورة على تحقيق أحلامهم إبان حدوثها، وقبل أن يتبيّن لهم خيرها من شرّها.

وفيما يُغيّب الكاتب الشخصيات النسائيّة القوية والمؤثّرة عن حياة أيمن في الرواية، ويلوم ذلك على سوء حظّه، فإنه ينبىء كذلك عن قصور حقيقي في إدراكه لمفهوم الثورة وأبعاد الحرية. إمّا تشييء النساء وحصرهنّ في النفعيّة وإشباع اللذّات، أو تجسيدهنّ في أفكار مثاليّة بعيدة المنال، تمامًا مثل شخصيّة علياء التي يقدّسها أيمن مثل الحرية، عاجزًا عن إبقائها أو حتى اللحاق بها، لا تصله إلا عبر رسائل إمبريالية حول ما يمكن أن تكون الحريّة عليه في أمريكا.

بأسلوب حاذق لا يخلو من الحيل والألاعيب النفسيّة، يكتب الدبوسي الرواية وكأنّها جلسة اعتراف مطوّلة أمام مُعالج نفسيّ، يفضح عبر خطابها الإباحي الكثير مما يقصيه المجتمع ويحشره في الفضاء الهامشيّ، ليتحوّل بذلك إلى أفكار مكبوتة في اللاوعي، لا تختلف كثيرًا عن حالة الكبت السياسيّ. إذ يُرجع فوكو الرغبة العارمة في الاعتراف إلى علاقة الفرد بالسّلطة في الدرجة الأولى، فالسّلطة تستخدم الاعتراف أداة لمعرفة »الحقيقة«، وبالتالي إدانة المُتّهم أو المتّهمة، خاصّة أنّ السّلطة الديكتاتوريّة لا تتوانى عن استعمال العنف عند سحبها هذه الاعترافات. من هنا، تضحي الرّغبة العارمة في اعتراف الأفراد وكشفهم للمكبوت من تلقاء أنفسهم ردّة فعل أوليّة إزاء السّلطة القمعيّة، ثمّ يصير الاعتراف بما لا تودّ السلطة أو المجتمع معرفته استفزازًا لمنظومة الرّقابة.

هكذا يوظّف الفرد الاعتراف -وهو أداة السّلطة- ضدّها، ويكشف كلّ ما في جعبته من أسرار مُحرجة أو أفكار مرضيّة معيبة، ليتحرّر منها ويدرك »حقيقة «ذاته. ومن الطبيعي أن يحتلّ الجنس الجزء الأكبر من هذه الاعترافات، لأنه يشغل حيّزًا لا بأس به من الفضاء الهامشيّ، باعتباره أكثر الرغبات كبتًا وإقصاءً، سواء بفعل رقابة الفرد على ذاته، أو خوفًا من أحكام المُجتمع، وعقاب السلطة.

هذه رواية عن سأم الشّباب من تمجيد الثّورة التونسيّة، والعجز عن إدراك الحريّة المزعومة. هذه رواية فضح لمواضع العفن المجتمعيّ والسياسيّ، وإظهار الأشياء على حقيقتها بعد كشط طبقاتها الخارجيّة الزائفة.

خاتمة

يمثّل الفضاء الهامشي في الروايات الثلاثة قوّة دافعة تتحرّك الشخصيّات على إثرها في اتّجاهات متعدّدة ضدّ السّلطة المركزية. ولأنّ الثورة فعل ظاهريّ، علنيّ، فرديّ وجمعيّ في آن، تركّز الروايات على تعدّدية الأصوات الهامشيّة، دون إقصاء الصوت الفرديّ. فيما تظلّ الحرية مفهومًا إشكاليًا واضحًا عند الجيل الشابّ في روايات ما بعد الثورة التونسيّة، الإشكال ذاته الذي يخلق سجالًا مجتمعيًا حول مفهوم الحرية.

حريّة التعبير التي يرى المعظم أنّها الإنجاز الوحيد الذي حقّقته الثورة التونسية، ليست إلا جزءًا يسيرًا من مفهوم الحرية الجدليّ الذي لا يمكن حصره في شكل أو اتّجاه واحد. في ضوء ذلك، تأتي روايات ما بعد الثورة التونسيّة باتّجاهاتها الجديدة، لتثبت أنّ الكتابة، كما الثّورة، ليست فعلًا موازيًا للمجتمع، بل وليدة تحوّلاته،[35] وحريّة التعبير لا تتجزّأ في النهاية عن حريّة التفكير.

وفيقة المصري

الآن... في موقع (FOULABOOK)

كتاب (الصحافة الجزائرية : من 1962 الى 2024)

تاريخ ... وانطباعات

طبعة رقمية (PDF)

كتاب رقمي يوثق و يؤرخ لمسار الصحافة الورقية في الجزائر، من بداية الإستقلال و استرجاع السيادة الوطنية سنة 1962، الى ما بعد سقوط عصابة الرئيس بوتفليقة، سنة 2024.

الكتاب .. و بأسلوب صحفي مباشر و بسيط، يجمع بين الخبر (معلومات و معطيات دقيقة) و الرأي (التحليل و التعليق و الإنطباعات)

الصحافة الجزائرية في مفهوم هذا الكتاب، هي كل الجرائد اليومية و الأسبوعية و المجلات الأسبوعية و الشهرية أو الدورية التي صدرت في تلك الفترة المباركة.

أنا ظمأُ البحرِ

بقلم: هادية السالمي دجبي

على ضَفَّةِ النَّهْر
يَرْتَقِبُ الْحَجَلُ السُّفُنَ الْقَادِمَهْ ،
و صَحَارَى بصدري
تَنُوءُ بها رئَتَايَ و تَشْقَى.
و في الْقَلْبِ
مِجْمَرَةٌ و نُهُورٌ مِنَ الْحَسَرَاتِ .
و فيه عواصِفُ تَرْغُو و تَقْسُو ،
فتَسْري بعيْنِي
عناقيد ليْلٍ
و يَنْبُتُ في مُقْلَتَيَّ السَّرَابُ و يَلْظَى.
و فيها تَئِنُّ قُطُوفُ السَّمَاءِ و تَخْبُو.
أعُدُّ جُسُورَ الرِّمال
على مَرْفَإِ الْعُمُر الْمُتَرامي ،
و فيها تَضِجُّ الْخُيولُ
برَاياتِ هَمْس تَأَسَّى.
و أرْتَقُ عشبَ الْحنين بسُهدي و أصْبُو ...
فتَصْحُو بوَجْهي
شظَايا الْمَرَايا ،
و تَصْهَلُ في قَدَحِي
رَجْفَةُ الْجُوع و الْكَدَمَاتِ.
فأنْسِجُ مِنْ عَطَشِي
صَبْرَ خَيْلي و دمعي
ولا قَوْسَ منكمْ
عليه أشُدُّ و أسْري
ولا جِسْرَ منكم
إليه أفِرُّ فأرْضَى.
و يَهْمِي رَمَادُ الْعُرُوبَةِ ، يا عَرَبًا ،
وَجَعًا و أنِينًا.
و يَسْأَلُني عن شُجُون الْمَرَايا
و يَحْرِقُنِي.
تَفِرُّونَ مِنْ قَدَحِي
و تَهيمُونَ بالْبُعْدِ عنْ خيْمَتِي.
تَفِيئُونَ - أنْتُمْ - على الشَّوْكِ
بالْوُدِّ و الْقَهَوَاتِ،
و كأسي يُوَشِّي دُجَاها مَناضِدَكُم
بسُهادي.
يُها الْقَوْمُ طابَتْ دَفَاتِرُكُمْ
و تَشَظَّتْ يَدِيَّ.
تَشَظَّتْ يَدِيَّ،
و لكنْ، رَمادِي هَوَاهُ الْمَدَى .
أنا للقَدَاسَةِ عُنْوانُها وعبير مَنَابعها.
أنا ظمأُ الْبَحْر
تُلْهِبُهُ دَمْعَةُ الارْتِياع.
أنا كَمَدُ الْحِبْر
يَنْهَشُهُ التَّوَهَانُ.
عِطَافُ النَّخِيل، أنا،
و الْجَريدُ أدَثِّرُهُ.

أنا هاهنا السِّنْدَيانُ
و لستُ أهابُ اللَّظى،
مِثْلَ يَقْطِينَةٍ
فَيُؤْها لِمَواجِعِكُمْ بَلْسَمُ.
أنا يا دثاري رُضابُ السَّماءِ
على صَفَحَاتِ الضَّنَى،
صَرَخاتُ الْمنافي، أنا، و خُدوشُ الْعُرَى،
هَمَساتُ الضِّياءِ ، أنا،
و الظِّلالُ لِسِرْبِ الْيَمام.
و إنِّي كَزَنْبَقَةٍ يَمَّمَتْ مَسْبَحًا لِلطُّيُور
لِتَخْبِزَ نُورًا لِسُنْبُلَةٍ في كُهُوفِ الرَّدَى .
أَلَسْتُ أنا الشَّهْقَةَ الْبِكْرَ لِلْفَجْر
في أرْضِكُمْ؟؟؟
أَلَسْتُ أنا شَفَةَ الشَّمْس
تَرْوِي سنابلَكُمْ؟؟؟
فَتَبًّا لِقَوْمٍ هَوَاهُمْ ركابٌ و نَرْجِيلَةٌ،
و خِدْرِي أراه مَرَاتِعَ ريحٍ سَمُومٍ
و مِقْصَلَةٍ.

هادية السالمي دجبي- تونس

تبت يد الأعداء

بقلم:ميمونةبنت محمد

تبّت يد الأعداءُ لا إيرانُ
تبّت يد أمريكا هي الشيطانُ
تبت يد إسرائيل وهي مُصيبةٌ
هي محنة وبقائُها خُسرانُ
تبّت وشُلت واليهود جميعهم
فهم البلاء وقتـ....لهم إحسانُ
يامن أضعتم دينكم وزمانكم
ماذا جنيتم والعِداء قُطعانُ
عاثوا فساداً لا عهود تردهم
عن غيّهم وبغزة البرهانُ
هل أكرموك بقولهم أو فعلهم
أو ما ترى الإجرام يا إنسانُ !
ما قلت للأعداء قولاً ناقصاً
هل ينتمي لضميرك الطغيانُ !
قتلٌ وحرقٌ للعباد ولم نرى
من قام منكم زاجراً غضبانُ
هذا التملّق للعدو مذلةٌ
يكفي هوانُ إنه الخسرانُ

الشاعرة العمانية /
#ميمونة_بنت_محمد_بن_صالح_البطّاشية.

عيون الشعر

و ما زلت أرضى بالتقليل محبة
لديـــه وما دون الكثير حجاب
و أطلب إبقاء على الود أرضه
و ذكرى مني في غيرها و طلاب
كذلك الوداد المحض لا يرتجى له
ثـــواب و يخشى عليه عقـــاب
و لقد كنت أخشى الهجر و الشمل جامع
و في كل يوم لقيـــة و خطاب
فكيف و فيما بيننا ملك قيصر
و للبحـــر حولي زخرة و عباب
أمن بعد بذل النفس فيما تريده
أثاب بمـــر العتب حيـــن أثاب
فليتك تحلو و الحياة مريرة
و ليتك ترضى و الأنام غضـــاب
و ليت الذي بيني وبينك عامر
و بيني و بين العالميـــن خراب
إذا صح الود منك فالكل هين
و كل الذي فـــوق التـــراب تراب

أبو فراس الحمداني (932 / 968 م)

فارسُ النَّار

بقلم : محمّد ثُوّامي

بأيِّ ريح يهُبُّ هذا الجحيم ؟
ومِنْ على أيِّ سرْج سابح
ترجَّلَ فارسُ النّارْ ؟
مِنْ أيِّ ثُقْبٍ في جدار البيت
تأتي جهنَّمُ قبل الأوانْ. !؟
وهذا الصراطُ قدْ يستقيمُ
أولا يستقيمُ ولكن ،
(تمتَّعْ - يا صاحبي - من شميم عرار
نجدٍ) قبل أنْ يَبْعُد هذا العرارْ
قبل أن يستبيحَ المغولُ
- عرشَكَ

- مخدعكَ الملكيَّ
وقبل أنْ تستريحَ في ظلال البلادِ
خيْلُ التّتارْ
يا فارس النار مهلاً :
هل شجرُ مِنْ سيوفِ الخيانةِ ؟
هلْ صبْيَةٌ مِنْ جيوش الخيَّالةِ ؟
وهل وطن بكامله ..
بكَفَّة هذا السُّعارْ !؟
ويا فارس النّارْ
هل جبلٌ منذُ (لا لاَّ فاطمة ..) و(عيسى
الذِّيابْ)
يسخصُ مِنْ أبَدٍ لِرَبِّ الثُّوارْ
يمكن أنْ تُطاولَه - هكذا - وفي لحظةٍ
مِنْ حِرانْ !؟
وهل في رحْلةِ صيفٍ
يُباعُ أو يُشترى وطنٌ
ويُحالُ إلى بلدٍ مِنْ بَوارْ !؟

محمّد ثُوّامي .

الخميس : 23 / 07 /

تونس: من الاستعمار إلى الثورة

قصة الدولة الحديثة

يُقدم كتاب "الدّولة والثّورة والحداثة: من الاستثناء العربيّ إلى الخصوصيّة التّونسيّة" للباحث عادل اللّطيفي تحليلاً معمقًا لمسار تشكّل الدولة الحديثة في تونس وعلاقتها بالثورة والحداثة.

يُقدم كتاب "الدّولة والثّورة والحداثة: من الاستثناء العربي إلى الخصوصيّة التّونسيّة"[1] للباحث عادل اللّطيفي تحليلاً معمقًا لمسار تشكّل الدولة الحديثة في تونس وعلاقتها بالثورة والحداثة ووضعيات ما بعد الثورة، ويربط ذلك بسياق الثورات العربية.

هشام الشّرفي[2]

اهتمّت العديد من الدّراسات والبحوث بمختلف اختصاصاتها ومقارباتها بمسألة الدّولة، سواء كانت التّقليديّة منها أو الحديثة، وبمسار تشكّلها وتطوّرها عبر التّاريخ وفي فضاءات جغرافيّة متنوّعة ومتباينة. كتاب الباحث التّونسي وأستاذ التّاريخ المعاصر بجامعة باريس الثالثة، عادل اللّطيفي، هو إحدى هذه الدراسات والتي حدّد الباحث منذ البداية محوره الرّئيسي، ألا وهو الدّولة في علاقة بالثّورة والحداثة مع التّركيز على الحالة التّونسيّة ومقارنتها مع بقيّة الدّول العربيّة الأخرى. نُشر الكتاب في طبعته الأولى سنة 2020، عن دار مسكيلياني في تونس، وصدر في 412 صفحة، إذ تضمّن مقدّمة وخاتمة وثلاثة أقسام كبرى. وسم الأوّل منها "من أوروبا إلى تونس: الدّولة- الأمّة والحداثة" وجاء في 137 صفحة، في حين ورد القسم الثاني في 119 صفحة وعنونه بـ "من الدّولة الوطنيّة إلى الثّورة". واهتمّ في القسم الثالث والأخير منه بـ "جدليّة الثّورة والدّولة: بين الانتقال الدّيمقراطي وانتشار الفوضى" وخصّص لهذا المبحث 114 صفحة.

في دوافع التّأليف

يؤكّد اللّطيفي على أنّ دافعه في التّأليف لم يكن البحث في أسباب اللحظة الثّورية ولا الفاعلين فيها، رغم أهميّة هذا الحدث. بل كانت منطلقات البحث مستخلصة من خلال التساؤل حول "اختلاف وضعيات ما بعد الثّورة في البلدان العربيّة التي شملت هذا الحراك المجتمعي والسياسي العميق"،[3] خاصّة مع انتشار العنف المصاحب للعديد من هذه التّجارب، رغم الاختلافات بين هذه التّجارب وخصوصيّة كلّ منها.

ويشير الكاتب إلى أهميّة دراسة وضعيات ما بعد الثّورة من زاوية إشكاليّة الدّولة باعتبارها الفضاء الذي نشهد فيه التغيرات السياسيّة الحديثة، والتي تسمح بدورها لا بالخوض في فهم مسارات هذه الثّورات فحسب، بل تمكّننا أيضًا من العودة إلى لحظة اندلاع الثّورة في تونس وانتشارها بدول عربيّة أخرى. وبالتالي يبيّن اللّطيفي أنّ الإطار الأنسب لفهم هذه السياقات ومعالجتها هي الدّولة الحديثة، وتحديدًا الدّولة الوطنيّة أو الدّولة-الأمّة.

مفهوم الدّولة الحديثة ومسار تشكّلها

يعدّ الباحث أن فهم التّغيرات التي حدثت في الواقع العربي منذ سنة 2011 يتطلب وضع إشكاليّة بناء الدّولة الوطنية في سياقها التّاريخي الحديث والمعاصر. فكان الانطلاق من مسار تشكّل الدّولة الحديثة في العالم الغربي، مع التّركيز أساسًا على القرنين التّاسع عشر والعشرين، وهي الفترة التي عرفت تعميمًا لأنموذج الدّولة-الأمّة.

ومن أبرز أسس الدّولة الحديثة وجود رقعة ترابيّة محدّدة وواضحة المعالم تعيش ضمنها مجموعة بشريّة متجانسة إلى حدّ كبير. ويستند الكاتب هنا على تعريف كلّ من إيريك هوبسباوم[4] وتشارلز تيلي،[5] فقد عدّ الأوّل أنّ مفهوم الرّقعة الترابية أساسي في تعريف الدّولة الحديثة باعتبارها "رقعة متواصلة يخضع كلّ سكّانها إلى نفس السّلطة، وهي منفصلة عن الوحدات التي تشبهها بحدود واضحة وثابتة، وتسيّر شؤون سكّانها مباشرة دون تدخّل أطراف أخرى وسيطة، كما تفرض نفس القانون على كامل الفضاء الترابي".[6]

أمّا بالنّسبة لتيلي، فهو يعتمد في تعريفه للدّولة على مسألة "الإكراه"، فالدّولة هي تنظيم داخل فضاء محدّد تراقب ضمنه كلّ وسائل الإكراه وتتمتّع بالأسبقيّة على كلّ التّنظيمات الأخرى الموجودة في الفضاء نفسه. إذن، نلاحظ ممّا سبق أنّ الانتماء يكون محدّدًا ومقتصرًا على رقعة جغرافيّة معيّنة يعبّر عنها بالدّولة-الأمّة أو الدّولة الوطنيّة تضمّ أفرادًا يُقرّون بانتمائهم إلى الأمّة، وبالتالي يُحدّد الفرد بانتمائه إليها لا إلى مجموعة إثنيّة أو دينيّة أو عشائريّة فيكون هذا الانتساب من أبرز مظاهر القطع مع الدّولة التّقليديّة. وبالتالي نشهد هنا تكوّن ثقافة عليا جديدة على حساب الثّقافات القديمة تسمّى "الوطنيّة".

الدّولة الأمّة في العالم العربي

يقدّم اللّطيفي ثلاث مسارات مختلفة لتشكّل الدّولة الوطنيّة في العالم العربي. أولاً: مسار الصّدمة الاستعماريّة. ويشمل الدّول التي تشكّلت هويّتها الترابيّة في سياق الاستعمار الأوروبّي بعد فشل محاولات إصلاح الدّولة العثمانيّة خلال القرن التّاسع عشر. عدّ الكاتب هذا المسار مسارًا قهريًا خارجيًا يراعي مصالح القوى الاستعماريّة على حساب التّقسيمات الأصليّة للمجتمع التّقليدي. ويضمّ كلًّا من ليبيا والجزائر وموريتانيا وسوريا واليمن والعراق والسّودان والصّومال.

ثانيًا: مسار الحلّ الأخير أو القبول الطّوعي. ارتبط هذا المسار بالحماية البريطانيّة لسلالات

حاكمة وبتوجّهها لاحقًا نحو إنهاء نفوذها في منطقة الخليج وأغلب مستعمراتها في الفترة ما بين نهاية الحرب العالميّة الثانية وبداية السّبعينات. يضمّ هذا المسار الدّول التي تبنّت شكل الدّولة القوميّة التّرابيّة كحلّ لا بديل عنه نظرًا إلى حداثة ظهور هذه الكيانات، خاصّة دول الخليج العربي.

ثالثًا: مسار التّراكم التّاريخي. تعود جذور هذا المسار إلى المنطقة في الفترة ما قبل الاستعماريّة، وخاصّة في تونس ومصر والمغرب. ويلعب العامل التّاريخي هنا دورًا مهمًا في تكوّن الدّولة الوطنيّة في كلّ من هذه الدّول الثلاثة، خاصّة في عمليّة تحديد المجال التّرابي ومكوّنات الطبقة الحاكمة التي ستؤدي لاحقًا دورًا مهمًا في تشكّل الدّولة الوطنيّة بها.

***مسار تشكّل الدّولة الوطنيّة في تونس**

أما بالنسبة للدولة الوطنية التونسية فيمكن تقسيم تشكلها إلى محطّات مختلفة. أولاً: فترة ما قبل الاستعمار. تميّزت بظرفيّة تاريخيّة ساهمت في تشكّل الدّولة الحديثة. ففي البداية، شهدت تونس تركّز سلطة مركزيّة في إطار تواصل سلالي لفترة تقارب الثّمانية قرون، توالت خلالها السيطرة بين ثلاث سلالات حاكمة فقط وهي السلالة الحفصيّة (1228-1574)، ثم العائلة المراديّة (1631-1702)، وآخرها العائلة الحسينيّة (1705-1957) ممّا أدى إلى تركّز الإكراه بسبب وجود تقاليد للسّلطة المركزيّة.

وقد ساهم هذا التّركز السّلالي في توجّه حكّام تونس نحو الهيمنة على المجال الجغرافي التّونسي من خلال إخضاع القبائل المتمرّدة، وذلك من أجل توفير عائدات جبائيّة للمركز. وقد تدعّم هذا الاتجاه خلال القرن السابع عشر مع إبرام أوّل اتفاق حدودي بين تونس والجزائر سنة 1614، ثم سنة 1628 لضبط الحدود بين البلدين واعتبار وادي سراط خطًا طبيعيًا فاصلاً بين البلدين. وهي تقريبًا حدود مشابهة للحدود الموجودة اليوم، وبالتالي نلاحظ بداية تشكّل القوميّة التّرابية، خاصّة من الجانب القانوني، وذلك باعتماد حدود ثابتة ومتّفق عليها.

ثانيًا: المرحلة الاستعماريّة. تعبّر هذه المرحلة عن تشكّل الوطنيّة التّونسيّة بالمعنى الحديث في إطار استمراريّة تشكّل الدّولة منذ الفترة الحديثة مرورًا بالاستعمار الفرنسي، الذي رغم سعيه للهيمنة إلّا أنّه اصطدم بنزعة استقلاليّة محليّة عزّزت مفهوم الدّولة-الأمّة في تونس في هذا السّياق،[7] وهو ما سيؤدي دورًا مهمًا في تشكّل ملامح القوى الفاعلة في مرحلة ما بعد الاستقلال من نخب ومكوّنات المجتمع المدني.

لقد ساهم الاستعمار عن غير قصد في تأكيد ظاهرة التّوطين على مستوى الهوية ومؤسّسات الدّولة، فقد اعتمد الفرنسيّون على الإدارة المحليّة في تونس نتيجة لوجود تقاليد التّسيير الدّولتي قبل الاستعمار. فجرى اعتماد نظام الحماية، وهو ما ساهم في الاتّكال على كفاءات محليّة تونسيّة في الإدارة خاصّة بالجهات، وهو ما أدّى كذلك إلى نقل ثقافة الإدارة والخبرات الفرنسيّة إلى الإدارة التّونسيّة، ما ساهم في تفكّك الهياكل التّقليديّة العشائريّة.

إضافة إلى ما سبق، ساعدت الفترة الاستعمارية في تبلور الوطنيّة التّونسيّة، والتي تُعدّ من بين أهمّ الرّكائز التي تقوم عليها الدّولة-الأمّة، باعتبارها تمثّل قاعدة للانسجام الاجتماعي وللانتماء إلى الهويّة التّرابية ورموزها ومؤسّساتها. ولئن مثّلت الفترة الاستعماريّة الإطار الذي تشكّلت فيه الوطنيّة التّونسيّة بمفهومها الحديث، إلّا أنّ ذلك لا يعني ارتباطها بشكل حصري بالحضور الاستعماري، بل تعود جذورها إلى القرن السابع عشر كما بيّنا سابقًا.

وقد ساهمت عدّة عوامل في بلورة الوطنيّة التّونسيّة، رتّبها الكاتب في ثلاثة حقول أساسيّة. نذكر منها اثنتين تتمثّل الأولى في حقل المطلبيّة السّياسيّة من حركة الشّباب التّونسي مرورًا بالحزب الحر الدّستوري القديم بقيادة عبد العزيز الثعالبي منذ سنة 1920، ثمّ الحزب الحر الدستوري الجديد بقيادة الحبيب بورقيبة في الفترة التي تلت مؤتمر قصر هلال سنة 1934، وهو ما ساعد في تكون وعي سياسي وتنظيمات حزبيّة حديثة عزّزت المطلبية السّياسية والوطنية.

أمّا الحقل الثّاني فتمثّل أساسًا في المطلبيّة الاجتماعيّة، وتركّز العمل في هذا الحقل أساسًا في الجانب النّقابي منه، وذلك بتأسيس جامعة عموم العملة الأولى سنة 1924 بزعامة محمد علي الحامي والطّاهر الحداد ومن ثمّ جامعة عموم العملة الثّانية بقيادة بلقاسم القنّاوي سنة 1937 لتتضح التّجربة النّقابية بتأسيس الاتحاد العام التّونسي للشغل سنة 1946. وقد بيّن الكاتب أنّ هذين الحقلين قد أفرزا نخب ما بعد الاستقلال، سواء على مستوى الحكم وتسيير الدّولة أو على مستوى النضال الاجتماعي من خلال مختلف المنظمات الوطنيّة في تونس.

ثالثًا: مرحلة ما بعد الاستقلال إلى الثّورة. ساعد مسار تشكّل الدّولة الحديثة في تونس في مواجهة إشكاليات تتعلّق بتجربة الدّولة فجر الاستقلال بطريقة أفضل نسبيًا من بقيّة الدّول العربيّة الأخرى. وهو ما سمح للنّخبة السّياسية بالتّوجه مباشرة نحو تأسيس الدّولة الوطنيّة ووسائلها وتحديث المجتمع. وقد تمثّل الجانب الأخير أساسًا في إضعاف تأثيرات التشكيلات الاجتماعيّة التّقليديّة مثل الزّاوية والقبيلة. وذلك بضرب القاعدة الماديّة لها من خلال حلّ الأوقاف وفرض الملكيّة الفرديّة، إضافة إلى تعزيز دور المرأة في الحياة العامّة من خلال إصدار مجلّة الأحوال الشّخصيّة في 13 آب/ أغسطس 1956.

أمّا على المستوى السّياسي، فقد عرفت تّونس إعلان الجمهوريّة في 25 تموز/ يوليو 1957، وبذلك تم القضاء نهائيًا على الحكم السلالي وتحويل الملكية إلى جمهوريّة، وهو ما يدخل ضمن مسار تشكّل الدّولة الوطنيّة. كما دعّم هذا السّياق إصدار دستور 1 حزيران/ يونيو 1959 الذي ركّز على الفصل بين السلطات والاعتماد على تقسيم إداري زاد من مركزيّة العاصمة وإضعاف الرّوابط التّقليديّة، ممّا سهّل عمليّة مراقبة الأفراد، خاصّة مع إنشاء خطّة الوالي كرابط بين المركز وبقيّة الجهات.[8]

تواصلت فترة التّحديث والتّأسيس للدّولة الوطنيّة خلال فترة بورقيبة إلى بداية السّبعينات، وتمثّلت هذه الفترة في المرحلة الأولى من حكمه، لتشهد تونس لاحقًا مع بداية السّبعينات وحتى 7 تشرين الثاني/ نوفمبر 1987، تاريخ عزل الرّئيس الحبيب بورقيبة، عدّة أزمات سياسيّة واجتماعيّة. وذلك بعد فشل تجربة التّعاضد، ممّا أدّى إلى إضعاف السّلطة المركزيّة وظهور حركة الاتجاه الإسلامي وتنامي نفوذها إلى حدّ التّخطيط لعمليّة انقلاب عسكري على الحكم في يوم 8 تشرين الثاني/ نوفمبر 1987. تقطن زين العابدين بن علي، الذي تم تعيينه آنذاك كوزير أوّل، إلى أثر تلك الأحداث على السلطة، فاستغلّ ذلك لتنحية الحبيب بورقيبة عن الحكم، وذلك عبر تقرير طبّي يُقرّ بعجزه التّام عن أداء مهامه كرئيس. وبذلك، حلّ محلّ بورقيبه على رأس السّلطة، ودخلت البلاد مرحلة جديدة من الحكم.

عُرفت فترة حكم بن علي بمرحلتين، اتّبع في الأولى استراتيجية الانفتاح على مختلف مكوّنات المشهد السياسي، وذلك في إطار كسب الوقت لتقوية مؤسّسات الدّولة، خاصّة وزارة الدّاخليّة وحزب التّجمع الدّستوري الدّيمقراطي. امتدت هذه الفترة إلى حدود سنة 1992، وشهدت تونس فيها انتخابات سنة 1989، التي شارك فيها الإسلاميّون بقوائم مستقلّة نظرًا لعدم تمكّنهم من الحصول على تصريح للنشاط الحزبي. تلاها تشكيل حكومة انفتح فيها بن علي على شخصيّات بورقيبيّة ويسارية.

مع تأزّم الوضع السياسي ابتداءً من سنة 1992، شهدت تونس تراجعًا لمظاهر الدّيمقراطيّة وتضييقًا على الأحزاب السياسية. حدث ذلك نتيجة لعودة الرئيس الواحد والحزب الواحد عبر استغلال مؤسّسات الدّولة الإدارية والإعلامية وغيرها لصالح التّجمع الدستوري الديمقراطي، مع اعتماد مراقبة أمنية شديدة لمختلف الأنشطة السياسية والجمعياتيّة ممّا ساهم في التّضييق على الحريّات وعلى النّشاط الحزبي والسياسي. أدّى ذلك إلى بروز نوعين من التّعبيرات الاحتجاجيّة. تميّز النوع الأوّل بالطّابع السّياسي من خلال المعارضة السياسيّة والنّقابيّة. في حين لم يعرف نظام بن علي النّوع الثّاني من المعارضة المتمثّل في التحرّكات الاحتجاجيّة الاجتماعيّة الشعبيّة إلّا في السّنوات الأخيرة من حكمه، وتحديدًا في كانون الثاني/ يناير 2008، فيما يعرف بأحداث الحوض المنجمي. وهي احتجاجات شهدتها منطقة الرّديف بولاية قفصة واستمرّت لمدّة 6 أشهر. تلاها احتجاجات منطقة بنقردان في آب/ أغسطس 2010 وهو ما يعكس مؤشّرات الواقع الاجتماعي في تونس خلال تلك الفترة والذي انتهى لاحقًا بأحداث الثّورة بداية من 17 كانون الأول/ ديسمبر 2010، التي انطلقت من سيدي بوزيد وسط تونس.

الثّورة التّونسيّة: في إطار الدّولة أم ضدّ الدّولة

لا يشكّك الكاتب في استحقاق الثّورة التّونسيّة، كما ذهب العديد من الباحثين والفاعلين في الشّأن السياسي في تونس. بل يعتبرها ثورة سياسيّة داخل الدّولة، وليست ثورة ضدّ الدّولة، ولا تعبيرًا عن فشل الدّولة الوطنيّة في تونس. بل يراها نتاجًا لنجاحها على مستوى فتح آفاق للتّطور السياسي والاجتماعي والثّقافي، بعد أن عرفت صدًا في فترة حكم زين العابدين بن علي. كما يؤكّد المؤلف على أنّها ليست ثورة ضدّ بورقيبة وإرثه. بل يعتبر أنّ مساعي التّحديث التي اتّبعها الحبيب بورقيبة هي التي هيّأت للتّطور المجتمعي والسياسي، وهو ما سيدعم ويؤطّر الثّورة التّونسيّة لاحقًا. فلولا نجاح الدّولة الوطنيّة ولولا مساعي التّحديث لبورقيبة، لما بلغت الثّورة لمرحلة المطلبيّة السّياسيّة، ولما انبثق عنها مسار ما بعد الثّورة عبر القوى الفاعلة التي أفرزها التحديث، خاصّة بالمحافظة على التّقاليد الدّستوريّة لتونس والمطالبة بانتخاب مجلس تأسيسي لإعداد دستور جديد وهو ما يذكّرنا بمرحلة ما بعد الاستقلال ودستور عام 1959.

يرى الكاتب أيضًا أنّه وبالرّغم من حضور المسألة الاجتماعيّة، إلّا أنّ الثّورة كانت ذات أبعاد سياسيّة ضمن تطوّر تنظيمي للدّولة. وهو ما ساهم في احتضان الدّولة للثّورة من خلال تقديم إطار قانوني لانتقال السّلطة عبر الاعتماد على الفصل 57 من دستور سنة 1959، الذي يقر بحالة العجز التام للرئيس عن القيام بمهامه. وبالتالي تحول الصّلاحيات إلى رئيس مجلس النّواب بصفة مؤقّتة. وبذلك شكّل دستور 1959 الإطار القانوني الذي تمّ عبره الانتقال من شرعية النّظام القديم إلى شرعيّة الثّورة. وهو ما يؤكّد الحضور القوي لثقافة الدّولة والقانون، ممّا مكّن من تفادي تعقيدات المرحلة، خاصّة يوم 14 كانون الثاني/

راتبي يكفيني

فلا أحتاج إلى أحد!

مع تنامي الاستقلال المالي للمرأة، ولا سيما بعد دخولها بقوة إلى سوق العمل، وقعت بعض النساء في مغالطة الاستغناء، فتقول، لا أحتاج إلى أحد، فأنا قادرة على إعالة نفسي. وهذا خلط بين الاستقلال المالي والاستغناء الإنساني والأسري.

فمن المغالطات أن تظن المرأة أن استقلالها المادي يجعلها مستغنية عن زوجها أو والديها أو إخوتها أو أسرتها عمومًا. نعم، قد تكون قادرة على إعالة نفسها، بل وربما إعالة غيرها، لكن الأسرة في المنظور الإسلامي والاجتماعي لا تقوم على الحاجة المالية وحدها، وإنما تقوم على المودة والرحمة والتكامل في الأدوار، كما تقوم العلاقات الأسرية بين أفرادها على التكافل والتعاون والاحترام المتبادل.

ولهذا، لسنا من دعاة استقواء المرأة على الرجل أو تنصلها من مسؤولياتها الأسرية، كما أننا لا نقبل استقواء الرجل على المرأة أو ممارسة أي شكل من أشكال الظلم أو العنف ضدها. فالعلاقة بين الزوجين ليست علاقة صراع أو منافسة لإثبات من هو الأقوى أو الأكثر استقلالًا، وإنما هي علاقة مودة ورحمة، وشراكة تقوم على التكامل وتحمل المسؤولية المشتركة.

لذلك، فمن الخطأ أن تتعامل المرأة مع أسرتها عمومًا، أو مع زوجها خصوصًا، بمنطق مالي لي ومالكم لكم. وكما يُنتظر من الرجل أن يبذل ماله وجهده في سبيل استقرار أسرته، فإن الإحسان من المرأة ومشاركتها إذا استطاعت وبرضاها، يعد من مكارم الأخلاق وحسن العشرة، لا سيما إذا كان الزوج أو الوالدان يمران بضائقة مالية ويحتاجان إلى عونها، مع بقاء مالها حقًا لها، لا يُنتزع منها بالإكراه.

وفي المقابل، يُطالب الزوج بأداء واجباته كاملة وفق ما ألزمه الله به، كما يُطالب الأب بالقيام بمسؤولياته تجاه أسرته. والقوامة في الإسلام ليست مجرد الإنفاق المالي، بل هي مسؤولية شاملة في الرعاية، والحماية، وحسن التدبير، وتحقيق السكينة، وتوفير الشعور بالأمن والطمأنينة والاستقرار للأسرة.

إن البيت الناجح لا يُبنى على الصراع حول الحقوق، ولا على شعار: أنا وبعدي الطوفان، وإنما يُبنى على المحبة، والتراحم، والتعاون، والإحسان، والتنازل المتبادل عند الحاجة، مصداقًا لقوله تعالى: ﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾، وقوله سبحانه: ﴿وعاشروهن بالمعروف﴾.

فاطمة سعيدان

وكالة القبس للنشر الرقمي

بومرداس: 0662207378

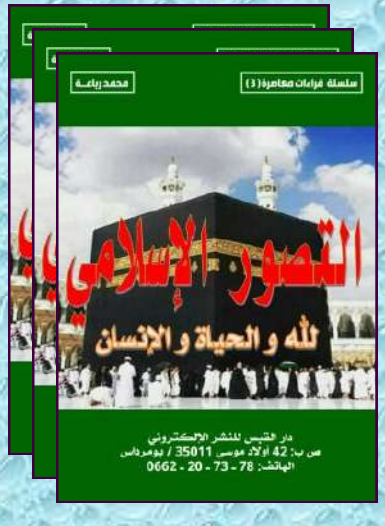

عقيدة المسلم المعاصر، بشكل جديد و أسلوب بسيط، تحليل عميق، و تقديم جميل و أنيق لأهم عناصر و أبعاد العقيدة الإسلامية.

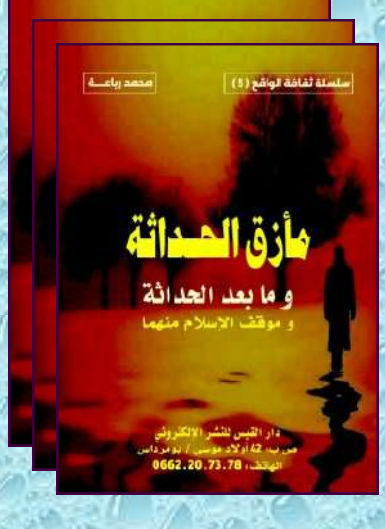

لأول مرة في الجزائر، كتاب غير أكاديمي موجه للطلبة و الشباب المثقف، يحلل ظاهرتي الحداثة و ما بعد الحداثة و يقدم موقف الإسلام منهما .

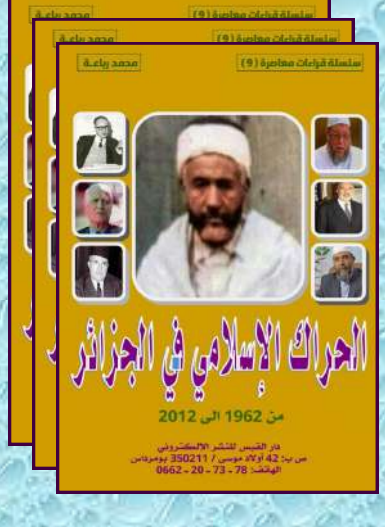

تاريخ موجز و مركز للحركة الإسلامية الجزائرية، بعد الإستقلال، بشقيها الرسمي و الشعبي .

شيخان في سجون تونس

بقلم:محمد كريشان

من بين كل السجناء السياسيين في تونس، وما أكثرهم هذه الأعوام، اسمان هما الأكثر تداولا هذه الأيام: الشيخ راشد الغنوشي رئيس حركة »النهضة «ورئيس البرلمان المنتخب المطاح به قبل خمس سنوات وأحمد نجيب الشابي زعيم »جبهة الخلاص «المعارضة والشخصية المعارضة المرموقة.

ما يجمع الاسمين ليس فقط العمر فقد تجاوز كلاهما الثمانين، وليس فقط المرض، فكلاهما يعاني منه، ولكن إصرارهما على الاشتغال بالسياسة من الشباب إلى المشيب رغم أنه قادهما في كثير من المحطّات إلى السجن. ومع اختلاف ميولهما الفكرية، إلا أن الأكيد أن ما من أحد بينهما كان يظن أنه قد يعود يوما وراء القضبان بعد ثورة عام 2011 التي ظنا أنها أغلقت عهود الاستبداد إلى الأبد.

مفردة »الشيخين «كانت تطلق تودّدا على كل من الغنوشي والرئيس الراحل الباجي قايد السبسي حين تحالف بعد 2014 حزباهما، »النهضة «الإسلامية و«نداء تونس «الليبرالية، رغم أنهما كانا خصمين لدودين لكنهما ارتأيا في النهاية أن تونس تحتاج تآلفا يدعم استقرارها ويضمن لها مرورا آمنا لمرحلة شديدة التعقيد. أما اليوم فمفردة »الشيخين «تطلق خوفا وحسرة، الخوف على حياتهما في موجة الحر الشديد التي تعرفها تونس حاليا وهما في سجن لا يوفر من مقوّمات الحياة الإنسانية الكريمة الكثير، أما الحسرة فهو على هذا المآل لرجلين أفنيا شبابهما في النضال من أجل تونس ديمقراطية وتعدّدية في وقت لم يعرف فيه لماسكي السلطة اليوم من النضال شيئا.

لم يكن سرا أن الرجلين كانا يعانيان في

السجن، كأغلب من فيه من السجناء السياسيين رجالا ونساء، والغنوشي تحديدا نقل أكثر من مرة إلى المستشفى، لكن ما أطلق صرخة الإنذار الحقيقية بشأنهما كان ابنتيهما، فدوى الشابي المحامية بعد زيارة أخيرة لها إلى السجن، وسمية الغنوشي الكاتبة المقيمة في الخارج بعد ازدياد الإشاعات الخاصة بصحة والدها. وهل هناك أصدق وأكثر حنانا من أن تتحدث بنت عن والدها.

سمية الغنوشي قالت في فيديو مصور أنها لا تملك أي معطيات دقيقة حول الوضع الصحي لوالدها في »درجات الحرارة هذه لا يتحمّلها الشخص العادي، فما بالك بشخص بلغ من العمر 85 عامًا« مضيفة أن »آخر معلومة بلغتهم من المحامين تشير إلى تعرض والدها للإغماء وفقدان الوعي داخل سجن المرناقية«، محمّلة رئيس الدولة ووزيرة العدل المسؤولية الكاملة (السياسية والأخلاقية والجزائية) عن سلامة والدها الجسدية وحياته.

أما هيفاء الشابي فقالت »خرجت من السجن وأنا لا أستطيع التنفس، ولا السير على قدمي«، في إشارة إلى تأثرها بما شاهدته خلال الزيارة، وإلى الارتفاع الفظيع في درجات الحرارة. ومع أن الشابي أكدت أن حديثها لا يستهدف تحميل إدارة السجن المسؤولية عن الظروف التي يعيشها المحتجزون، إلا أنها حذّرت من استمرار احتجاز المعارضين في ظل ظروف قالت إنها قاسية، مشيرة إلى أن عدداً من المعتقلين يقضون »الصيف الرابع «داخل السجون، دون تغيير في أوضاعهم. »الأعمار بيد الله«، أضافت الشابي، لكنها حمّلت المجتمع والنخب السياسية مسؤولية ما قد يحدث، قائلة: »نحن مسؤولون بسبب صمتنا على الوضع.«

وأمام وضع مقلق كهذا اعتبرت »جبهة الخلاص الوطني «التي تضم معظم التنظيمات المعارضة لانقلاب قيس سعيّد أن »مناخ الغموض والتكتم (الخاص بالرجلين) لا يمكن إلا أن يغذي الإشاعات ويزيد من قلق العائلات ومخاوفها «داعية السلطات إلى إصدار بيان رسمي وعاجل يوضح الحقيقة كاملة بشأن وضعيتهما، لكن ذلك لم يحصل، ولا يتوقع كذلك أن يحصل، بعد أن أصبح التعتيم سياسة رسمية.

ورغم أن للكثيرين مآخذ مختلفة على كل من الغنوشي والشابي، شأن أي كان من السياسيين على الدوام، ورغم كل ما جمعهما في محطات معيّنة وفرّق بينهما في أخرى، فإن ما لا يمكن لأي كان أن ينكره أن كليهما تمتّع بمجموعة من الخصال المميّزة أبرزها الإيمان الشديد بالنضال السلمي ونبذ أي دعوة للعنف أو التلويح به. أثبت الرجلان ذلك في أكثر من مناسبة، فالغنوشي وحزبه تركا السلطة في 2014 ضمن ترتيب معين وتركاها بعد انتخابات 2019 وأقصيا منها بانقلاب 2021 لكنه لم يلجأ إلى العنف أو يهدد به، كما أن مسيرة الشابي الطويلة منذ شبابه ميّزته دائما بفضيلة النفس الديمقراطي والنضال السلمي طويل النفس. كلا الرجلين يتمتّعان أيضا بقدرة رهيبة على تحمّل الأذى وخوض المعارك السياسية بصبر وهدوء يحسدان عليه.

هكذا كانا دائما، الغنوشي في المنفى لعشرين عاما والشابي تحت حكم بن علي الذي لم يتجرأ على اعتقاله. كلاهما عرف السجن في عهد بورقيبة وناضلا في عهده وعهد من جاء من بعده، ومن سخف الاستبداد أن يجدا نفسيهما اليوم وراء القضبان من جديد في هذا العمر. المؤلم أكثر أن سجانهما لم يكتف بتلفيق القضايا التي زجّت بهما إلى السجن، وبأحكام وصل مجموعها في حالة الغنوشي إلى زهاء القرن ونصف، لكنه لم تكن له حتى مروءة تحمّل الخلاف معهما وهما يتمتعان بالحرية، وهو من لم يكن له موقف واحد طوال حياته ضد الاستبداد.

محمد كريشان- قطر

القبس
منظمة التحرير الفلسطينية
ما لها ... وما عليها؟
FOULABOOK.COM

القبس
العقيد محمد شعباني
ظالم .. أم مظلوم ؟
FOULABOOK.COM

القبس
طوفان الأقصى في الشعر الجزائري
FOULABOOK.COM

القبس
أحمد رضا حوحو في الصحافة التونسية
الشهيد أحمد رضا حوحو
بين السياسة و الصحافة و الأدب
FOULABOOK.COM

القبس
الجزائر تحتفل ... و أخرى في الطريق
FOULABOOK.COM

القبس
في الذكرى الثالثة
للحراك المبارك
FOULABOOK.COM

ملحمة الجزائر ، للشاعر عبد العزيز شين
القبس
الشهيدة: مريم بوعتورة
خالدة الذاكرة الثقافي و الجزائر و خالدة الثورة

السلفية الجديدة ... مرة أخرى
القبس
المثقفون و الفيسبوك
الحضور ... و الغياب
FOULABOOK.COM

لماذا ندعم إيران ؟
القبس
إيـــران
القوة الإسلامية الأولى

فلسطين في أعماله إبراهيم نصر الله
القبس
العقيد: كريم بقاسم
أنه جزء من جزيرة الخير التي تقاتل مقاتلوها
FOULABOOK.COM

القبس
الشعر عندي ... رسالة
FOULABOOK.COM

رواية الثورة و الأرض الوجه الآخر للسوار
القبس
يحيى السنوار
حياته قاسية و مات شامخا
FOULABOOK.COM

الرئيس تبون والرقمنة.. وزير يكشف أين كانت تتسرب أموال المليارات
القبس
رئيس الجزائر
FOULABOOK.COM

القبس
أهو الخوف على الجزائر أم الخوف منها؟
زواج المسيار
حل للمشاكل العاطفية أم تشجيع للدعارة؟
FOULABOOK.COM

القبس
ثمان سنوات.. و مازال الخير
الحرب الإسرائيلية/ الأمريكية على إيران
معركة إثبات الوجود

القبس
ما ذكرت فيه و أنا أقاعد لوحة من سرجية الأجواد
تأثير الصحافة الجوية
أسلوب جديد
في إدارة
الإعلام الرسمي
الإعلام الديبلوماسي و الإعلام الفلسطيني

القبس
مكة
التي رأيت

خطة لإنقاذ إسرائيل .. و حماية مصالح أمريكا
القبس
الشاذلي بن جديد
أجمل
الأزمنة
كان
زمنه
FOULABOOK.COM

القبس
قيس سعيد
بامتياز شرس بتنقية البرلمان

انتخابات 2 جويلية... النتائج و الدروس
القبس
حكومة جزئية هو الخيار الأنسب
FOULABOOK.COM

مكتب الأعمال و السكريتاريا
و الإستشارة الإدارية
حي المويلحة أولاد موسى ، ولاية بومرداس
الهاتف : 0560 . 78 . 99 . 96

وسيطكم الأمين في كل
التعاملات العقارية

. بيع و إيجار شقق ، فلات ، هياكل ، قطع أرضية صالحة للنشاط الترقوي .

. تعاملات مع الخواص
و المرقين العقاريين

. الثقة و المصداقية